رسائل من

عُمر بن الخطَّاب رضي الله عنه

رسائل من عُمر بن الخطَّاب رضي الله عنه

أدهم شرقاوي

دار كلمات للنشر والتوزيع
البريد إلكتروني:
Dar_Kalemat@hotmail.com
الموقع الإلكتروني:
www. kalemat.com

ردمك: 978-9921-809-08-4

رسائل من

عُمر بن الخطّاب

رضي الله عنه

أدهم شرقاوي

2025

kalemat

رسائل من

عُمر بن الخطّاب

رضي الله عنه

الإهـــداء

إلى غزّة،
إلى كُلِّ حبَّةِ تُرابٍ فيها،
إلى الأمهات المكلوماتِ بفقدِ أولادهنَّ،
إلى الآباءِ المفطورة قلوبهم،
إلى الزَّوجاتِ اللواتي صرنَ دون حبيب،
إلى الأزواجِ الذين اغتالُوا قلوبهم بقتلِ حبيباتهم،
إلى الفتياتِ الجميلات اللواتي سَرقتِ الحربُ
أحلى لحظاتِ أعمارهنَّ،
إلى الشَّباب الذين داست جنازير الدبابات أحلامهم،
إلى الأطفال الذين كبروا قبل أوانهم،
إلى الشُّهداءِ الذين حطُّوا رِحالهم في الجنَّة بإذن اللّه،
إلى تيجان الرُّؤوس في كتائبِ العِزِّ،
أُهدي هذا الكتاب!



1

لَذَّةُ الاستغناء!

في كتاب الزُّهد لعبد الله بن المبارك، والزُّهد للإمام أحمد:

قال أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه:

المرءُ إذا يئسَ من شيءٍ استغنى عنه!

يا صاحبي: لَذَّة الاستغناء عن شيءٍ، تُشبِه لَذَّة الحصول عليه!

فتعلَّمْ أن تتوقَّفَ عن المحاولة، فإنَّ الضَّربَ بالميِّت حرامٌ!

في هذه الحياة، كلُّ شيءٍ يمكن تعويضُه،

وما لا يمكن تعويضه يمكن استبدالُه،

وما لا يمكن استبدالُه، يمكن الاستغناء عنه!

لا تُطِلِ الوقوف على عتبةِ بابٍ موصودٍ،

فإنَّ هذا الانتظار المَقيت ما هو إلَّا عمرك،

تخيَّل خيبةَ أن يقضي المرءُ عمره راغباً بمن زهد فيه!

2

مقتلُ المرءِ في قلبِه!

في كتَابِ المُجتنَى لابنِ دُريد:

قال أميرُ المؤمنين عمرُ بن الخطَّاب رضي الله عنه:

إنَّ العبدَ لن يهلكَ حتَّى يُؤثرَ شهوتَه على دينِه!

يا صاحبي: مقتلُ المرءِ في قلبه، ونجاتُه كذلك!

فإنَّ الطَّاعةَ تُنادي أختها، والمعصيةَ تُنادي أختها!

ذاك أنَّ الطَّاعة تورثُ في القلب نقاءً فيطلبُ عبادةً جديدةً،

والمعصية تورثُ في القلبِ لوثةً فيطلبُ معصيةً جديدةً،

لهذا فإنَّ المؤمن تكدِّره معصيتُه، لأنَّ قلبَه كالثَّوبِ الأبيض،

والثَّوبُ الأبيضُ يتأثَّرُ بأدنى لوثة!

أمَّا الفاجرُ فلا تُربِكُه معصيتُه، لأنَّ قلبَه كالثَّوبِ المتَّسخ،

لوثةٌ جديدةٌ بين آلاف اللَّوثات لن تُحدِثَ فرقاً!

يا صاحبي: خطرُ المعاصي ليس بالإثم فقط، وإنَّما أثرها في القلب!

3

لا تجعَلْ صدرَكَ ساحةً لمعاركَ تافهةٍ!

في كتابِ المُجتنَى لابنِ دُرَيد:

قال أميرُ المؤمنين عمرُ بن الخطَّاب رضي الله عنه:

إيَّاكم وضغائن محمُولة!

يا صاحبي: إنَّ القَلب المليءَ بالحقدِ لا يهنأ به صاحبه، ولا يهنأ معه أحدٌ!

فلا تجعلْ صدركَ ساحةً لمعاركَ تافهةٍ،

فإنَّ شرَّ ما يُبتلى به المرءُ أن ينشغِل بتصفيةِ الحسابات!

وتذَكَّرْ دائِماً: إنَّ القلب موضع نظر الرَّبِّ،

فلا تُرِ اللّٰه في قَلبكَ ما يكره!

4
اُتْركِ الخفايا لربِّ الخَفايا!

رُوِيَ عن أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه أنَّه قال:
لو اطَّلع النَّاسُ على ما في قلوبِ بعضهم البعض،
لما تصافحوا إلَّا بالسُّيوف!
يا صاحبي: لا تَسْعَ لتعرفَ أكثر ممَّا يلزمُك،
أحياناً، المعرفة الزَّائدة كالجهل الزَّائد، مقتلةٌ!
يكفيكَ مِن النَّاسِ ما أظهروا لك،
واترك الخفايا لربِّ الخفايا،
كُنْ طيِّباً دون سذاجةٍ،
وحذِراً دون وسوسةٍ!





5
أقدارُ اللّٰه كلُّها خيرٌ!

في كتابِ الفَرَجِ بعد الشِّدَّة لابنِ أبي الدُّنيا:
قال أميرُ المؤمنين عمرُ بن الخطَّاب رضي الله عنه:
ما أُبالي على أيِّ حالٍ أصبحتُ،
على ما أحِبُّ، أو على ما أكره،
لأنِّي لا أدري الخير فيما أحِبُّ أو فيما أكره!
يا صاحبي: كم من شرٍّ ظاهرٍ كان في باطنِه خيرٌ كثيرٌ،
لولا الثُّقب في سفينةِ المساكين لسلبَها منهم الملك!
ولو بقيَ الغلامُ حيّاً لأشقى والديه،
فسبحان من يبتلي بالصَّغيرة ليُنجي من الكبيرة،
وينغِّص علينا بعض الدُّنيا، ليُصلِح لنا كثيراً من الآخرة!
وكم من خيرٍ ظاهرٍ كان في باطنِه شرٌّ كثيرٌ،
ألا ترى أنَّ قارون خُسِفَ به وبداره الأرض!

6

الرَّفيقُ قبل الطَّريقِ!

في كتابِ روضةِ العُقلاء لابنِ حِبَّان:
قال أميرُ المؤمنين عمرُ بن الخطَّاب رضي الله عنه:
عليكَ بإخوانِ الصِّدقِ فَكُنْ في أَكنافهم،
فإنَّهم زينةٌ في الرَّخاء، وعُدَّةٌ في البلاء!
يا صاحبي: كان الشَّافعيُّ يقول: يرسلُ اللّه بعضنا لبعضٍ رحماتٍ!
وأحياناً تأتي رحمة اللّهِ على هيئة أصدقاء!
إذا وقعَ عليك ظلمٌ كانوا لك جيشاً،
وإذا وقع عليكَ دَيْنٌ كانوا لكَ جيباً!
وإذا وقعَ عليكَ همٌّ كانوا لكَ عوناً!
مهما بلغَ المرءُ من رفعةٍ فإنَّه لا يستغني عن صديقٍ صالحٍ،
أما رأيتَ أنَّ النَّبيَّ ﷺ يوم الهجرة،
بدأ بالصَّدِيق قبل الطَّريق!

7
إنَّما العِبرةُ في الخَلوات!

في كتابِ شُعَبِ الإيمان للإمام البيهقيِّ:
قال أميرُ المؤمنين عمرُ بن الَخطَّاب رضي الله عنه:
أوصيكم باللّهِ، إذا باللّهِ خلَوْتُم!
يا صاحبي: العبرةُ في الخلوات، أمَّا في العلنِ فكلُّنا صالحون!
إنَّ محكَّ الإيمان الحقيقيِّ حين تخلو باللّه!
أن تأمن من الفضيحة ولكنَّك لا تهتكُ سترَ اللّه،
وأن تغيبَ عيونُ النَّاسِ عنك فلا تجعل اللّه أهونَ النَّاظرين إليك!
أن تفعل الخير رغمَ أنَّك لن تنالَ التَّصفيق،
وأن تكونَ كبيراً في عينِ نفسك وإن غابت عيون النَّاس!
كان ابنُ القيِّم يقول:
ذنوبُ الخلواتِ أصلُ الانتكاسات، وعباداتُ الخَفاء أصلُ الثَّبات!

8
ليستِ العُزوبة من أمرِ الإسلامِ في شيءٍ!

في مصنَّفِ ابن أبي شيبة:
قال أميرُ المؤمنين عمرُ بن الخطَّاب رضي الله عنه:
إني لأَقشعرُّ من الشَّاب ليست له امرأة،
ولو أعلمُ أنَّه ليس عيشي من الدُّنيا إلَّا ثلاثة أيامٍ،
لأحبَبْتُ أن أتزوَّج فيهم!
يا صاحبي: استوحشَ آدم عليه السلام وحده وهو في الجنَّة،
فخلقَ اللّه تعالى له حوَّاء لتؤنسه!
فإذا كانت الجنَّة دون زوجةٍ فيها وحشة، فكيف بالدُّنيا؟!
دع عنكَ كلَّ هؤلاء الأغبياء الذين ينادون بتركِ الزَّواج!
قال الإمام أحمد: ليست العزوبة من أمرِ الإسلامِ في شيءٍ،
ومن دعاكَ لغيرِ الزَّواجِ فقد دعاكَ لغيرِ الإسلام!

9

الزُّهدُ أن تكون الدُّنيا في يدِكَ لا في قلبِكَ!

في مصنَّفِ ابنِ أبي شيبة:

كتبَ أميرُ المؤمنين عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه إلى أبي موسى:

إنَّكَ لن تنالَ الآخرة بشيءٍ أفضل من الزُّهد في الدُّنيا!

يا صاحبي: ليس الزُّهدَ في الدُّنيا أن تعيشَ على هامشِ الحياة،

وإنَّما الزُّهد أن تكون الدُّنيا في يدكَ لا في قَلبكَ!

كان أبو بكر رضي الله عنه تاجراً، وكان عثمان رضي الله عنه ثريّاً،

وَكان حسَّان رضي الله عنه شاعراً،

وكلُّ الصَّحابةِ من الأنصار كان لهم أراضٍ يزرعونها،

وغدا عبدُ الرحمن بن عوفٍ رضي الله عنه إلى السُّوق فباع واشترى وأثرى!

كانوا زاهدين لأنهم جعلوا الدُّنيا زاداً للآخرة!

بين الزُّهد في الدُّنيا وبين الخنوع والاستسلام فرقٌ شاسعٌ!

10

أوَكُلُّ البيوتِ بُنيتْ على الحُبِّ!

في مصنَّفِ ابنِ أبي شيبة:

جاءَ رجلٌ إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه، يريدُ أن يُطلِّقَ زوجته،

فسأله عمر: ولمَ؟

فقال: إنِّي لا أحبُّها!

فقال له عمر: أوكُلُّ البيوتِ بُنِيَت على الحُبِّ، فأين المروءة والذِّمَّة؟!

يا صاحبي: الزَّواج كرَجُلٍ من العامة إذا لبس تاجَ الحُبِّ صار ملِكاً!

فلا تنسَ أنَّ الملوك قلَّة، والعوام كثرة!

والبيوت القائمة على المروءة، والعهد، ورغبة العيش أكثر من القائمة على الحُبِّ!

يكفي المرءُ نُبلاً أن يألفَ ويُؤلفَ، وأن يكون مأمون الجانب،

قال رجلٌ للحسن البصريِّ: عندي ابنةٌ وقد خُطِبَت فلِمَن أُزوِّجُها؟

فقال له: زوِّجها من يخاف الله، إن أحبَّها أكرمها، وإن أبغضَها لم يظلمها!

11
تَعوَّدْ أن تكونَ رفيقَ نفسِكَ!

في مصنَّفِ ابنِ أبي شيبة:
قال أميرُ المؤمنين عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه:
في العزْلَةِ راحةٌ من خُلطاء السُّوء!
يا صاحبي: من لم يجدْ نفسَه برفقةِ نفسِهِ فلن يجدها برفقةِ النَّاس!
لا شكَّ أنَّ الإنسان لم يخلق مقطوعاً من شجرة،
وأنَّ المؤمنَ يألَفُ ويُؤلَفُ، ويأنس ويُؤنَسُ به،
وأنَّ الصُحبة الصَّالحة هي من نعيم الدُّنيا،
وقد علَّمتنا الهجرة أنَّ المرء لا يستغني عن صاحبٍ ولو كان نبيّاً!
ولكن على المرء أن يخلو بنفسه من فترةٍ إلى أخرى،
تعوَّد أن تكون رفيق نفسك!
اِقرأ، تعلَّمْ، تأمَّلْ، تَعبَّدْ، حاسب نفَسكَ!
كثرةُ الخلطة ضوضاء، فَكُنْ من النَّاس بين القابض والمنبسط!

12

اُهرُبْ بدِينِك!

في مصنَّف ابن أبي شيبة:
قال أميرُ المؤمنين عمر بن الخطّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:
لا تصحَبِ الفاجر فيعلِّمُك من فجورِه!
يا صاحبي: اُهرُبْ بدينِك!
نحن نعيش في زمنٍ تنهشُنا فيه المُغريات من كلِّ اتِّجاهٍ،
إنَّه الزّمن الذي قال عنه النَّبيُّ ﷺ:
القابضُ فيه على دينه كالقابض على الجمر!
فما أحوجنا فيه إلى رِفقةٍ صالحة،
إذا تَذَكّرنا أعانُونا، وإذا نَسينا ذكَّرُونا، وبالكاد نَنْجُو!
أخلاق الصُّحبة تتسلَّلُ إلى المرءِ كدبيبِ النَّملِ،
وإنَّ المرء لا يتغيَّر دفعةً واحدةً، وإنَّما يبتعدُ رُويداً رُويداً،
فاخترْ صُحبَتك بعناية، فإنَّما المرءُ على دينِ خليله!

13

التَّربيةُ بالقُدوةِ لا بالتَّنظِير!

في كتابِ التَّاريخ لابن كثيرٍ:
لمَّا جِيءَ بتاجِ كسرى إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه،
قَال: إنَّ قوماً أدُّوا هذا لأمناء!
فقال له أميرُ المؤمنين عَليّ بن أبي طالب رضي الله عنه: يا أمير المؤمنين:
إنَّ القومَ رأوكَ عَفَفْتَ فعفُّوا، ولو رتعتَ لرتعوا!
يا صاحبي: إنَّ التَّربية بالقدوة لا بالتَّنظير!
كلُّ كلامِك عن مضارِ التَّدخِين لأولادك،
سيبقى كلاماً فارغاً ما دامتِ السِّيجارة بيدك!
وتقبيل يد أمك أو أبيك أمام أولادك يعدلُ ألفَ خطبةٍ عن البرِّ!
تريدُ من أولادكَ أن يلزَمُوا خُلقاً حسناً، التَزِمْ به أوَّلاً،
تريدُ من موظَّفِيك أن يحضرُوا باكراً، لا تتأخَّرْ أنتَ!
كلُّ النَّصائح الجميلة مجرّد تمتماتٍ فارغةٍ،
ما لم تَكُن ناصِحاً بعملك قبل لسانك!

14
إيَّاكَ أن تألف!

في الطَّبقاتِ لابن سعد، ومناقب عمر لابن الجوزيِّ:

قال أَسْلمُ مولىٍ أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب ﵁:

لو لم يرفع اللّٰه تعالى القحطَ عام الرَّمادة،

لظنَّنَا أنَّ عُمر يموتُ همّاً بأمرِ المُسلمين!

يا صاحبي: إيَّاك أن تألفَ مُصابَ المُسلِمين!

أن تمرَّ بكَ مشاهد جُوعِهم فلا تتوجَّع،

وأن ترى مشاهد قتلِهم فلا ينفطر قلبكَ،

وأن تشاهد أطفالهم يرتجفون في الخيام فلا ترتجف كلُّ خليةٍ فيك،

هذه الأمَّة جسدٌ وأنتَ فيه خليَّة،

أرأيتَ خليَّة في جسدٍ تُقِيمُ عُرساً وبعض الجسد في مأتَم؟!

15
إنَّ اللّٰه يـرفِقُ بمن يـرفِق!

في كتاب مناقب عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه لابن الجوزيِّ:
ضربَ أمير المؤمنين عُمر بن الخطَّاب رضي الله عنه جمَّالاً،
وقال له: حَمَّلتَ جمِلَكَ ما لا يُطيق؟!
يا صاحبي: إنّ اللّٰه يرفِقُ بمن يرفِق!
فلا تُحمِّل أحداً فوق ما يُطيق!
نحن نحتاج أن نتعامل بيننا بالرَّحمة لا بالحقوق والواجبات!
تغافلْ عن تقصير الزَّوجة في بعض عمل البيت،
فإنَّها نهاية المطاف حبيبة ورفيقة عمرٍ وليست مُدبِّرة منزل!
وتغافَلِي عن بعض ما تحتاجينه من زوجك،
متطلبات الحياة كثيرة، وشعور الرَّجل بالعجز مرير،
وإنَّه نهاية المطاف حبيب ورفيق عمرٍ وليس فانوساً سحريّاً لتلبية الطَّلبات!

16

نزعَ اللّهُ الرَّحمةَ من قلبكَ!

في كتاب الزُّهد للإمام وكيع بن الجَرَّاح:

كتب أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه كتاباً لرجلٍ يريد أن يستعمله،

فجاءَ بعض أولاد عمر رضي الله عنه، فأجلسه عمر رضي الله عنه في حِجره،

فقال الرَّجل: ما فعلتُ هذا مع ولدٍ لي قطُّ!

فقال له عمر رضي الله عنه: فما ذنبي إن كان اللّه نزع الرَّحمة من قلبكَ؟!

ثم انتزعَ الكتاب من يده، وقال: لا تعمل لي أبداً!

يا صاحبي: من لا خيرَ فيه لأهله لا خير فيه للنَّاس!

من رأيته عاقًّا لأبويه فاحذره،

من خانَ إحسان والديه إليه فلن يُثمر فيه معروفك معه،

ومن رأيته قاطعاً رحمه فاحذره،

إنَّ الذي قطع ما أمره اللّه بِصِلته سيقطعك حين تنتهي المصلحة!

ومن رأيته سيِّء الخُلُقِ في بيته، فحُسن خُلقه خارجه مجرَّد قناعٍ!

17
خَفِّفْ حَمْلَ بطنِكَ يستقِمْ قَلبُكَ!

في كتابِ المُجتنَى لابنِ دُرَيدٍ:
قال أميرُ المؤمنين عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه:
إيَّاكم والبِطَنة، فإنَّها مكسلةٌ عن العبادة، مفسدةٌ للجسم، مودِّيةٌ إلى السَّقم!
يا صاحبي: نحن نأكلُ لنعيش ولا نعيشُ لنأكل!
وما جاء ذِكْرُ البِطَنة إلَّا في موضع الذَّمِّ!
الأطبَّاء يُحذِّرون منه على الجسم، والفقهاءُ يحُذِّرُون منه على القلب!
وانظُرْ للصَّحابة رضوان الله عليهم كان طعامُهم لُقَيماتٍ،
ومع هذا كانوا قليلاً من اللَّيل ما يهجعون،
خفَّفوا حملَ بطونهم فاستقامتْ لهم قلوبهم!
وصحَّتْ أجسادُهم، واشتدَّ عُودُهم،
ألا ترى أنَّهم قارَعُوا الإمبراطورياتِ، وفتحُوا الدُّنيا!

18

لا تكُنْ مهرِّجاً!

في كتابِ المُجتنَى لابنِ دُريدٍ:

قال أميرُ المؤمنين عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه:

من كَثُرَ ضحِكُه قَلَّتْ هيبَتُه!

يا صاحبي: لكلِّ مقام مقال، ولكلِّ مجلس آدابه!

صحيحٌ أنَّه ليس على المرءِ أن يحملَ الدُّنيا فوقَ رأسِه،

ولا أن يُفسِدَ المجالس بالهموم والوعظِ،

ولكنَّه بالمقابلِ ليس عليه أن يكَون مهرِّجاً،

للجدِّ موضِعُه، وللهزلِ موضعُه،

ومن كثُرَ هزله استخَفَّ به النَّاس!

19
الثَّرثارُ تضيقُ به صُدور النَّاس!

في كتابِ المُجتنَى لابنِ دُريد:
قال أميرُ المؤمنين عمر بن الخطَّاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:
من كثُرَ كلامُه كثُرَ سَقَطُه،
ومن كثُرَ سقطه قَلَّ حياؤُه،
ومن قلَّ حياؤُه قَلَّ ورعُه،
ومن قلّ ورعه ماتَ قَلبُهُ!
يا صاحبي: قال الجِرجانيُّ مُعرِّفاً البلاغة: هي الإيجاز!
ما لا يُقال بكلماتٍ معدودة لن يُقال بخطابٍ طويلٍ!
الثَّرثارُ تضيقُ به صدور النَّاس،
والكلمةُ العوجاءُ تفسِدُ كلاماً منظوماً!
وتذَكَّرْ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قد أُوتِي فَصْلَ الخِطَاب،
أي التَّعبير بأيسرِ المُفرداتِ عن أعظمِ المعاني!

20
عجزٌ أو فجورٌ!

في سِيَرِ أعلام النُّبلاء للإمام الذَّهَبِيِّ:

قال أميرُ المؤمنين عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه لأبي الزَّوائد:

ما يمنَعُكَ من النِّكاحِ إلَّا عجزٌ أو فجورٌ!

يا صاحبي: بعض صفاتِ الكمال في اللّٰه هي صفاتُ نقصٍ في البشر!

عدمُ اتِّخاذ زوجةٍ وولدٍ في حقِّ اللّٰه صفةُ كمالٍ،

وفي حقِّ البشرِ صفةُ نقصٍ!

وهذه الفردانيَّة التي يدعون إليها الآن فِكرٌ معتوه،

يريدُون أن يُشبِّهوا المخلوق خالقه، وهيهات أن يبلغَ العبد مَقام الرَّبِّ!

خذها عندك قاعدة: كلُّ من ترك الزَّواج مع مقدرته الماديَّة عليه،

فإمَّا يتركه لأنَّه عنينٌ عاجزٌ لا شهوةَ فيه،

أو لأنَّه يُفرِّغ هذه الشَّهوة في حرام!

الأمرُ ما قال عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه: عجزٌ أو فجورٌ!

21

أَحسِنْ جِوَار النِّعم!

في مصنَّفِ ابنِ أبي شيبة:

عن أَسْلَم مولى أمير المؤمنين عُمر بن الخطاب رضي الله عنه قال:

كنتُ أمشي مع عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه فرأى تمرةً مُلقاةً، فقال: خذها!

قلتُ: وما أصنعُ بتمرةٍ؟

فقال: تمرةٌ وتمرة حتَّى تجتمع!

فأخذتُها، حتَّى إذا مررنا بمربدِ تمرٍ، قال: ألقِها فيه!

يا صاحبي: أحسِنْ جوَار النِّعم!

إنَّ الذي يزدري النِّعمة الواحدة سيُحرم المائدة الفاخرة،

وإنَّ الذي لا يستشعرُ النِّعمة في قدميه لن يستشعرها في سيَّارته!

لا شيءَ يحفظُ النِّعم كشُكرِها، لا شيءَ يُذهبها ككفرِها!

22
خافَ عمر بن الخطَّاب ﵁ وهو المُبشَّر بالجنَّة!

في مصنَّفِ ابن أبي شيبة:

قال عبدُ اللّه بن عامر، رأيتُ عمر بن الخطَّاب ﵁ أخذَ تِبنةً من الأرض،

فقال: ليتَنِي هذه التِّبنة، ليتَنِي لم أكُ شيئاً،

ليت أُمِّي لم تلدني، ليتَنِي كنتُ نسياً منسيّاً!

يا صاحبي: خافَ عمر بن الخطَّاب ﵁ من الحِساب وهو المبشَّر بالجَنَّة،

وخشيَ يوم الموقفِ العظيمِ وهو الذي أقام العدلَ وفتح الدُّنيا!

فما الذي حدثَ لي ولكَ حتَّى أمنَّا كأنَّنا ضمنَّا الجنَّة؟!

هذه الدُّنيا ليست إلَّا محطَّة تَزوُّدٍ لسفر طويل،

من خرجَ منها راضياً لرَبِّه، وقد سَلِمَ النَّاس منه نجا،

ومن خرجَ منها عاصياً لرَبِّه، مؤذِياً للنَّاس فقد هلك،

فأَعِدَّ زاداً لائقاً بهذا السَّفر، فإنَّ يومَ العرضِ مرعبٌ بلا زادٍ!

23
التَّواضعُ قرينُ التَّوفيقِ!

في مصنَّفِ ابن أبي شيبة:
قال أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه:
إنَّ العبدَ إذا تواضعَ رفعَ اللّٰه حكمته!
يا صاحبي: التَّواضع قرينُ التَّوفيق، والغرور قرين السُّقوط!
حدَّثني مرَّة الشَّيخ محمد راتب النابلسي عن طبيبَيْنِ يعرفهما،
الأول كان يُطلب من بلدٍ إلى بلدٍ لتنفيذ العمليات الجراحية،
فسأله الشيخ عن سبب توفيقه،
فقال: واللّٰهِ ما دخلتُ غرفة العمليات إلَّا صلَّيتُ ركعتين وطلبتُ العون من اللّٰه!
والثَّاني كان لا يقلُّ عنه شهرة، ولكن كان فيه غرورٌ عجيبٌ،
وقد سُمِعَ أكثر من مرَّة يقول: أنا لا تستعصي عليَّ عمليّة جراحيَّة!
تمَّ أخيراً توقيفه عن مزاولة المهنة، بعد أن تسبَّب بوفاةِ مريض،
بخطأ لا يُخطئه مبتدئٌ في الجراحة!

24
الفُضُولُ ذميمٌ!

في مصنَّفِ ابنِ أبي شيبة:
قال أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:
لا تعترِضْ / تتدخَّلْ فيما لا يَعْنِيك!
يا صاحبي: إنَّ الذي يعيشُ في حياةِ النَّاس سينسَى أن يعيش حياته!
سيطِرْ على فضولك، ولا تَكُنْ حِشَرِيّاً!
ما لكَ ولسببِ انفصال زوجين، البيوت أسرار!
وما لكَ وكم راتب فلان، من حُسن إسلامِ المرء تركه ما لا يعنيه!
وما لكَ ما أكل فلان، وما صنعتْ فلانة؟
الفُضول ذميمٌ فلا تكُنْ أسيراً له!
والحِشَريَّة صنعةُ الفارغين فصُنْ نفسك!

25
ما أسهلَ الحديثَ عن النَّزاهة!

روى الإمامُ البخاريُّ في صحيحه:

قسَمَ أميرُ المؤمنين عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه ثياباً بين نساءِ أهل المدينة،

فبقي منها ثوبٌ جيِّدٌ، فقال له بعض من حضر:

أعطه ابنة رسول الله ﷺ التي عندك، يريدون أمَّ كُلثوم بنت عليٍّ رضي الله عنه،

فقال: أمُّ سليط أحقُّ به،

كانت تزفِرُ / تَخِيطُ للنَّاس القِرَبَ يومَ أُحُد!

يا صاحبي: ما أسهل الحديث عن النَّزاهة ما لم يكن لك قريبٌ مستفيدٌ!

وما أسهل الحديث عن تكافُؤِ الفرص ما لم يأتِك أحدٌ من طرفِ فلان!

وما أسهل الحديث عن الشَّفافية ما لم يكن المعارف في المنتصف!

إنَّ ميزان الأخلاق الحقيقيِّ حين يكون المرءُ مجبراً على أن يختار!

26
المشَاعرُ في دينِنا عبادة!

في الطَّبقاتِ لابن سعدٍ،
نظر أميرُ المؤمنين عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه عام الرَّمادة إلى بطيخةٍ في يدِ ولدٍ له،
فقال: بَخ، بَخ يا ابن أمير المؤمنين،
تأكلُ الفاكهةً وأمَّة محمد ﷺ هُزُل؟
فخرجَ الصبيُّ هارباً وبكى!
فقالوا: لقد اشتراها بكفٍّ نوى يا أمير المؤمنين!
يا صاحبي: المشاعرُ في دينِنا عبادة!
يُؤجر المسلمُ على حُزنِه لمصابِ أخيه!
تَفقَّدْ قَلبَكَ عند فواجعِ المُسلمين،
وانتفِض كي تُخَفِّفَ عنهم بما استطعتَ،
فإن لم تستطِعْ فليس أقلَّ من أن تتكدَّر!

27
من للدِّينِ إنْ لم نكُنْ نحن؟!

في كتابِ مناقب عمر بن الخطَّاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لابنِ الجوزيِّ:
جاء الأحنف بن قيسٍ في وفدِ أهل العِراق إلى عمر بن الخطَّاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ،
فإذا هو يُداوي بعيراً من إبِل الصَّدقة!
فقال له عمر: أعنِّي يا أحنف على هذا البعير،
فإنَّه إبلُ الصَّدقة، فيه حقُّ اليتيم والأرملة والمسكين!
فقال رجلٌ: لو أمَّرتَ عبداً من عبيد الصّدقة يكفِيكَ هذا يا أمير المؤمنين،
فقال له عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: وأيُّ عبدٍ هو أعبدُ منِّي ومن الأحنف؟!
يا صاحبي: إنَّ قيمةَ المرء بما يحمِلُ لا بما يَتخلَّى!
وبما يعملُ لا بما يُنَظِّر ويتكلَّم،
إلقاء الأمور على كاهل الآخرين شيءٌ سهلٌ،
ولكن لن يجد الإنسان قيمتَه إلَّا بما يحملُ من مسؤوليَّة!
لم يصل الأوائل إلَّا لأنَّ شعارَهم كان: من للدِّين إن لم نكن نحن؟!

28

وأنَّى لي ولكَ بقلبٍ كقلبه؟!

في كتاب مناقب عمر بن الخطَّاب ﵁ لابن الجوزيِّ:

كان أمير المؤمنين عُمر ﵁ يأتي مجزرةَ / ملحمةَ الزُّبَير بن العوَّام ﵁ في البقيع،

فإذا رأى رجلاً اشترى لحماً يومين متتالِيَن ضربَه بالدُّرَّة،

وقال له: ألا طَويْتَ بطنكَ لجارك أو ابن عمِّك؟!

يا صاحبي: لن تفهمَ عمر بن الخطَّاب ﵁ ما لم يكن لك قلبُه،

وأنَّ لي ولكَ بقلبٍ كقلبه!

أنا وأنتَ نجاهد في ترك الحرام وليتَنَا نبلغ!

عمر بن الخطَّاب ﵁ كان يُجاهِد في تركِ المُباح كي لا يتعلَّق بالدُّنيا!

كان يريدُ للنَّاس أن يفهموا حقيقةَ هذه الدَّار،

محطّة عبورٍ إلى دارٍ باقية،

محطَّةُ زادٍ إلى سفرٍ طويلٍ، وبعضُ الزَّاد في أن تترك!

29

لا حُرمة لمن انتهكَ الحُرُمات!

روى ابن قُدامة في كتَابه المُغنِي، والبيهقيُّ في سُننه:
أنَّ رجلاً ضافَ ناساً من هُذيل، فخرجتْ لهم جاريةٌ،
واتَّبعها ذلك الرَّجل، وأرادها عن نفسها، فامتَنَعتْ،
فتعارَكَا في الرَّمل، فرمتهُ بحجَرٍ فقتلته!

فبلغ ذلك أمير المؤمنين عُمر رضي الله عنه، فقال: ذلك قتيلُ اللّه لا يُودى أبداً / لا ديَّة له!

يا صاحبي: لا حُرمة لمن انتهكَ الحُرمات!

ولا ملُومَةَ على من ردَّ العُدوان،

فإيّاكَ أن تحكم على المشهد الأخير وأنت لا تعرِف التَّفاصيل،

وإيَّاك أن تقضي في النَّتيجة وتترك الأسباب،

كثيرٌ من الضَّحايا في مشهدهم الأخير كانوا طوال عُمرهم جلَّادِين!

30
أنأكُلُ الطَّعام وبنو هاشمٍ هَلْكَى؟!

روى ابنُ حزم في كتابه المُحلَّى، وعبد الرزَّاق في مُصنَّفه:
أنَّ رجلًا أتىً أهلَ ماءٍ فاستسقاهم، فَلم يسقُوهُ حتَّى مات عطشاً!

فأغرمهم أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب ﵁ ديَّته:
يا صاحبي: حاجاتُ النَّاس ليست امتحاناً لهم وحدهم،
إنَّها أيضاً امتحان لمن كان قادراً على سدِّ هذه الحاجات،
أكتبُ هذه الكلمات ومشاهد جموع أطفال غزَّة تتراءى لي!
ويطرقُ ذاكرتي زُهير بن أبي أميَّة ذاك الجاهليُّ الشَّهمُ يوم حِصار الشِّعب،
حين وقف عند الكعبة وقال: يا أهل مكّة،
أنأكل الطَّعام وبنو هاشم هَلْكَى لا يُباع ولا يُبتاع منهم،
واللّه لا أقعد حتَّى تُشَقَّ هذه الصَّحيفة القاطعة الظَّالمة!
يا حسرةً علينا تركناهم وحدهم ما عاملناهُم بحقِّ الإسلام ولا مروءةِ الجاهليَّة!

31

أردتَ أن تُخاصِمَنِي أمَّة محمَّدٍ!

في كتاب مناقب عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه لابن الجوزيِّ:
كان مُعَيْقِيب على بيتِ مالِ أمير المؤمنين عُمر رضي الله عنه، فكنسَ بيت المال،
فوجدَ فيه درهماً، فدفعه إلى ابن عمر رضي الله عنه،
قال مُعيقيب: ثمَّ انصرفتُ إلى بيتي، فإذا عمر رضي الله عنه يدعوني إليه،
فجئتُ فإذا الدِّرهم في يده،
وقال: ويحكَ يا مُعيقيب أوجدتَ عليَّ في نفسكَ شيئاً؟
فقلتُ: وما ذاك يا أمير المؤمنين؟
فقال: أردتَ أن تخاصمني أمَّة محمَّد صلى الله عليه وسلم في هذا الدِّرهم يوم القيامة!
يا صاحبي: ممَّا اُبتلينا به حرصنا على المال الخاص، وتساهلنا بالمال العام!
نتعامل مع المال العام على أنَّه لا صاحب له!
والحقيقة أن سرقة المال الخاص هو سرقة شخصٍ واحد،
بينما سرقة المال العام هو سرقة جميع الذين لهم حقٌّ فيه!

32
الآنَ طابتْ نفسِي!

في كتاب مناقب عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه لابن الجوزيِّ:
كسا أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه أصحاب النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم،
فلم يكُنْ فيها ما يَصلُح للحسن والحسين رضي اللّٰه عنها،
فبعث إلى اليمن وأتى بكسوةٍ لهما،
وقال: الآن طابتْ نفسي!
يا صاحبي: كان الصَّحابة يتسابقون في حُبِّ آل بيت النُّبوَّة،
وكان عُمر رضي الله عنه من أشدِّهم سباقاً في هذا المضمار،
وما تزوَّج أم كُلثوم بنت عليٍّ رضي الله عنه إلَّا تقرُّباً للنسب الشَّريف!
العداوة بين الصَّحابة وآل بيت النُّبوَّة اخترعها ابن سبأ،
وصدَّقها بعض الحمقى فجعلوها ديناً!

33

اِتَّقُوا دَعواتِ المظلومين!

روى الإمامُ البخاريُّ في صحيحه:

أنَّ أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه استعمل مولى له يُدعى هُنَيّاً،

وقال له: هُنيُّ، اُضْمُمْ جناحكَ على المسلمين،

واتَّقِ دعوة المظلوم، فإنَّ دعوة المظلوم مُستجابة!

يا صاحبي: دعواتُ المظلومين سهامٌ لا تُخطئ،

فلا تنظُرْ إلى ضعفِ من ظلمتَ، ولكن إلى قُوَّة من يلجأ إليه المظلوم!

في البيان والتَّبيين للجاحظ: كان خالد بن صفوان يقول:

اتَّقُوا دعواتِ المظلومين فإنَّها كالمجانيق!

ومن أجمل ما قيل في هذا الباب قول ابن عثيمين:

إنّ اللّه يستجيب دعاء الكافر المظلوم على المسلم الظَّالم،

لا حُبّاً بالكافر، ولا بُغضاً بالمسلم،

ولكن حُبّاً بالعدل، وبُغضاً للظُّلم!

34

اِحتَرِمْ خبراتِ الآخرين!

في كتاب الاستيعاب لابنِ عبد البرِّ:

كتب أمير المؤمنين عُمر بن الخطَّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

شاوِرْ طُليحة الأسديِّ، وعمرو بن مَعْدي كَرِب في أمر حربك، ولا تُولِّهما من الأمر شيئاً، فإنَّ كلَّ صانعٍ هو أعلمُ بصنعته!

يا صاحبي: من أجمل ما قالت العرب: من شاور النَّاس فقد شاركها في عقولها!

فاحترِمْ أهل الاختصاص، فإنَّ الخبرة عندهم ثمنُها من أعمارهم،

يوم بدرٍ أنزلَ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الجيش منزِلاً للحرب، فقال له الحُبابُ بن المنذر: يا رسول اللّه، أهذا منزلٌ أنزلكَ اللّه إيَّاه، فليس لنا أن نتقدَّمه أو نتأخَّره، أم هي الحرب والمكيدة والرأي؟

فقال له النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بل هي الحرب والمكيدة والرأي!

فقال: فإنَّ هذا ليس بمنزلِ حربٍ!

أرى أن تجعل آبار بدرٍ خلف ظُهورنا فنشربَ ولا يشربون!

فنزل النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند رأيه، فتواضعْ أنتَ!

35

التَّديُّن هو التَّجرُّد من الهوى!

روى الإمام مسلمٌ في صحيحه:

كان أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إذا استلم الحجر الأسود،

قال: إنِّي لَأعلمُ أنَّكَ حجرٌ لا تضُرُّ ولا تنفع،

ولولا أنِّي رأيتُ رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبَّلكَ ما قبَّلتُكَ!

يا صاحبي: إنَّ التَّديُّن هو التَّجردُ من الهوى!

ما قضاه اللّه فهو الحقّ وإن لم يُعجبك!

وما ثبتَ عن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهو السُّنة ولو خالفت هواك!

والإسلام يحترم العقل ولكنَّه لا يجعله إلهاً يُعبد!

والاجتهاد بابٌ لا يُغلق ولكن له حدوده وآلياته ومجالاته،

فلا تُنصِّبْ نفسكَ ربّاً، اللّه أعلَم بما يُصلِحُ عباده،

وإن كنت ترى خطأَ المُؤيَّد بالوحي، فكيف تجزم بصواب رأيك،

وأنت تنسى ما أكلتَ البارحة، وترى اليوم خطأ ما رأيته بالأمس صواباً،

إنَّ أعظم خُلقٍ يُؤتاه العبد هو أن يتأدَّب مع اللّه ورسوله!

36

أنتَ كما ترى نفسكَ!

في كتاب أدبِ الدِّين والدُّنيا للماورديِّ:

قال أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه:

لا تَصغُرَنَّ همَّتُكم، فإنِّي لم أرَ أقعدَ من المكرماتِ مِن صِغَر الهِمَم!

يا صاحبي: أنتَ كما ترى نفسكَ!

قيمةُ الإنسان الحقيقيَّة هي بالطريقة التي ينظر بها إلى نفسه،

لا بالطريقة التي ينظرُ بها إليه الآخرون!

لا أحد يستطيع إذلالك ما لم يكن الذُّلُّ مستوطناً فيك!

ولا أحد يستطيع أن يرفع قيمتك ما دمتَ صغيراً بعين نفسك!

كان جلالُ الدِّين الرُّوميُّ يقول:

كيف للبذرة الصغيرة أن تُصدِّق أنَّ بداخلها شجرةً كبيرةً،

ما تبحثُ عنه موجود في داخلك!

37

الرَّدُّ على التَّافهين يجعلُهم مشاهير!

في كتاب حِلية الأولياء للأصبهانيِّ:

قال أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

إنّ للّه عباداً يُميتون الباطل بهجره، ويُحيُون الحقَّ بذكره!

يا صاحبي: ليس كلُّ باطلٍ يجب تسليط الضوء عليه،

إعطاء التَّوافِه قيمة يُبرزها، والردُّ على التافهين يجعلهم مشاهير!

الصُّحف الفرنسيَّة والدانماركيَّة أصدرت الرُّسوم المسيئة للنَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،

ولكن مَن قاموا بنشرها هم نحن، حميَّة في غير موضعها!

نحن نجد قصائد حسَّان بن ثابت في الرَّدِّ عن النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،

ولكن لا يوجد قصيدة هجاء واحدة قيلت في النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقيت !

لقد بلغ من فقه الأوائل أن تجاهلوها فماتتْ!

38
بأيِّ عملٍ أمِنتُ أنا وأنت؟!

روى الإمامُ البخاريُّ في صحيحه:

أنَّ أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب ﵁ قال:

ودِدْتُ أنِّي نجوتُ منها كِفافاً، لا ليَ ولا عليَّ!

يا صاحبي: خاف عمر بن الخطَّاب ﵁ وهو المُبشَّرُ بالجنَّة،

ولا أدري بأيِّ عملٍ: أمِنتُ أنا وأنت!

تخيَّلْ هولَ يومِ القيامة حين تشيبُ الولدان!

وحين تذهلُ كلُّ مرضعةٍ عمَّا أرضعت!

وحين يفرُّ المرءُ من أخيه وأمِّه وأبيه وزوجته!

واللّهِ إنَّه يومٌ عصيبٌ لو تفكَّرنا به ما استطيبنا طعاماً ولا شراباً!

ولستُ أريد أن أخوِّفك، مع أنَّ من خوَّفكَ فقد أَمَّنكَ،

ولكنِّي أقول: أعدَّ لهذا اليوم عملاً يليقُ به!

39
لا شيءَ يعدلُ الطمأنينة!

في كتابِ الصَّمتِ لابن أبي الدُّنيا:
قال أميرُ المؤمنين عمر بن الخطَّاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:
من عرَّضَ نفسه للتُّهمة، فلا يلُومنّ من أساءَ الظَّنَّ به!
يا صاحبي: لا تُلقِ نفسكَ في مواضع الشُّبهات!
إنَّ النّاس فُطروا على سوءِ الظَّنِّ، فلا تُرِقْ سمعتك!
إنَّ لنفسكَ عليك حقّاً، ومن حقوقها عليك ألَّا تُهِنْها!
ولا تجعلها تمشي في دروبٍ لا تليقُ بها!
وأن ترفعها عن الزَّائف من النّاس، والملوّث من العلاقات،
وأن تُحمِّلها فكراً تفخرُ به، وهمَّا يُرضي اللّٰه،
وأن تخوضَ ميداناً لو رآك النَّبيُّ ﷺ فيه لابتسم!
وأن تُوردها موردَ النَّقاء، فيكون ظاهرك كباطنك،
وتضع رأسك على وسادتك آخر اللَّيل وكلُّ شيءٍ فيك مطمئـنٌّ،
لا شيءَ يعدلُ الطمأنينة، لا شيء!

40

يبلغُ المرءُ باللِّين أضعافَ ما يبلغه بالشِّدَّة!

في كتاب البيان والتَّبيين للجاحظ:
قال أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه:
خيرُ صناعات العرب أبياتٌ يُقدِّمها الرَّجلُ بين يدي حاجته،
يستميلُ بها الكريم، ويستعطفُ بها اللَّئيم!
يا صاحبي: إنَّما يبانُ عقلُ المرء في طريقة طلبه لحاجته!
الحاجات أبواب مغلقة، والألسنة مفاتيحها!
فإيَّاك أن تكسرَ الباب لأنَّ حاجتك ستفوتك،
وإنَّ المرء يبلغُ باللِّين أضعاف ما يبلغه بالشِّدة!
حتَّى بالدُّعاء لا تطلب من اللّهِ قبل الثَّناء عليه!
كُلُّ طلبٍ لا بُدَّ له من مراسيل تسبقه، ألم تقرأ قول ربك:
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً﴾!

41

من طابَ طبعُه طاب عيشه!

في كتاب شُعَبِ الإيمان للبيهقيِّ:
قال أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:
يُعجبني الرَّجلُ أن يكون كالصَّبيِّ في أهل بيته،
فإذا اُبتُغيَ منه وُجدَ رَجُلاً!
يا صاحبي: من لانتْ كلمته وجبتْ محبَّتُه!
ومن تغافلَ ملكَ القلوب، ومن طاب طبعه طاب عيشه!
كانت العربُ تقول: لا نقول عن الرَّجل رجلاً،
حتَّى ننظر إلى زوجته أعزيزة هي أم مُهانة!
وسُئلت عائشة رضي الله عنها، كيف يكون النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بيته؟
فقالت: كان يكون في مِهنة أهله أي خدمتهم!
وفي سِير أعلام النُّبلاء للإمام الذَّهبيِّ،
كان زيدٌ بن ثابتٍ من أفكَهِ النَّاس في بيته!

42
عزَّة النَّفس تُضاهي جاهَ المُلوك!

في كتاب مناقب عمر بن الخطَّاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لابن الجوزيِّ:
قال أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:
لا ينبغي لمن أخذَ بالتَّقوى، ووُزِنَ بالورع، أن يذلَّ لصاحب الدُّنيا!
يا صاحبي: إنَّ عزَّة النَّفس تُضاهي جاه الملوك!
وإنَّك لن تأخُذ من الدُّنيَا إلَّا ما قُسِمَ لك فَارفع رأسكَ،
اللُّقمة المغموسة بالذُّلِّ، الجوعُ خيرٌ منها،
وما يأتي بإراقة ماء الوجه ذَهابه خيرٌ من مجيئه،
وأن تكون وحيداً خيرٌ من أن تكون بديلاً!
ولا تفعل المستحيل لمن لا يفعل لأجلك الممكن!
حتَّى في الحُبِّ لا تهْدِرْ كرامتك،
الذين يتنازلون عن كراماتهم لا يستحقُّون شرفَ أن يكونوا عُشَّاقاً!

43

هذه النَّفسُ جبالٌ ووِديان!

في كتاب مدارج السَّالكين لابن القيِّم:

قال أميرُ المؤمنين عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه:

إنَّ لهذه القلوب إقبالاً وإدباراً،

فإذا أقبلت فخذوها بالنَّوافل، وإذا أدبرتْ فألزِمُوها بالفرائض!

يا صاحبي: هذه النَّفسُ جبالٌ ووِديانٌ!

أحياناً نتحمَّلُ أذى الدُّنيا كلِّها، وأحياناً تُبكينا كلمة!

فإذا كنتَ في الهمّة فأنجِزْ ما استطعتَ،

عبادةً، وثقافةً، وتعلُّماً، ومخالطةً للنَّاس!

وإذا كنت في الوادي، وما منَّا إلَّا ويكون فيها،

فانظُرْ إلى ما لا سبيل إلى تَرْكِه والزَمْه،

النَّفس تحتاج إلى مجاهدة، ولكن أحياناً من الحكمة أن لا تُجاهد!

44
مقتلُ المرءِ في غُروره!

في كتابِ مدارجِ السَّالكين لابن القيِّم:
قال عروةُ بنِ الزُّبير: رأيتُ أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه،
على عاتقه قِربة ماء.
فقلتُ: لا ينبغي لكَ هذا يا أمير المؤمنين!
فقال: لما أتاني الوفود طائعين، دخلتْ نفسي نخوة،
فأردتُ أن أكسرها!
يا صاحبي: إنَّ مقتلَ المرء في غروره!
ولا شيءَ يُري الإنسان حجمَه الحقيقيَّ غير أن يرى فقدان النِّعم!
عُدِ المرضى، ستتذكَّر أنَّك ضعيف!
زُرِ المقابر، ستتذكَّر مسكنَك النهائيَّ!
نظِّف حمامات مسجد، ستُؤجر وتتواضع!
إيَّاك أن تتضخَّم الأناً فيكَ فلا تعود ترى سوى نفسك!

45

اجتماعُ الأضدَّاد يُحلِّيها!

في كتاب محض الصَّواب في فضائل عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه لابن المُبرِّد:

خطبَ أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه يوم بُويِع بالخلافة،

فقال، ذاكراً أبا بكرٍ رضي الله عنه:

كنتُ أخلطُ شِدَّتي بلِينه، فأكون سيفاً مسلولاً، حتَّى يُغمِدَني!

يا صاحبي: إنَّ اجتماع الأضَّدادِ يُحُلِّيها!

لهذا على الأبوين أن يتبادلا الأدوار،

إذا اشتدَّ الأبُ لانتِ الأمُّ، وإذا اشتدتِ الأمُّ لانَ الأب،

فإنَّهما إذا اشتدَّا معاً كسرا الأولاد!

وإذا لانا معاً ضاع الأولاد!

ومن أجمل ما قالت العرب: إذا أتى كريمان على المال أتلفاه!

وهم يعنون أنَّ الزَّوج إذا كان كريماً على الزّوجة أن تُمسِك،

وإذا كانت الزَّوجة سخيَّة على الزوج أن يكون حريصاً!

46

منزلتُك من اللهِ بمنزلتِك من النَّاس!

في كتاب أدبِ الدِّين والدُّنيا للمَاورديِّ:

قال أمِيرُ المؤمنين عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه:

إنّ اللّه تعالى إذا أحبَّ عبداً حبَّبَه إلى خلقه!

يا صاحبي: اِعرفْ منزلتَك من اللّهِ بمنزلتِك من النَّاس!

فإنَّ اللّه إذا أحبَّ عبداً وضع له القبول في الأرض،

تألفُ القلوبُ مجالسته، وتستريحُ الأنفسُ بحديثه،

في الفتنة قال الإمام أحمد والأغلال في يديه لابن أبي دُؤاد:

العهد الذي بيننا وبينكم الجنائز!

انقشعت الفتنة، ونصر اللّه السُّنَّة، وثبَتَ الإمام أحمد!

مات ابن أبي دُؤادٍ فلم يُشيِّعه عشرة!

ومات الإمام أحمد فخرجت بغداد كلُّها في جنازته!

47

كَنَافِخِ الكِيرِ!

في كتاب أمالي ابن مَندَه:

قال أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه:

الرَّاحة في تركِ خليط السُّوء!

يا صاحبي: قالها لكَ النَّبيُّ ﷺ من قبل: جليس السُّوء كَنافِخ الكِير!

إمَّا أن يحرِق ثيابكَ، وإمَّا أن تجِد منه ريحاً مُنتِنَة!

وبالفعل، فإنَّ جليس السُّوء إن لم يُؤذِكَ بنفسك،

آذاك بأن جعل مجلِسكَ أذيَّةً للنَّاس غَيبةً ونميمةً!

وبئس المجلس الذي لا بُدَّ له من ضحيَّة: أنتَ أو النَّاس!

نحن نعيشُ في زمنٍ يحتَاجُ الإنسان من يأخذُ بيده إلى الله،

لا إلى إنسان يكون عوناً للشَّيطان عليه!

انتقِ جلساءك فإنَّ الطِّباع مُعديةٌ!

48

كحَامِلِ المِسك!

في كتاب مفتاح دار السَّعادة لابن القيِّم:

قال أميرُ المؤمنين عمر بن الخطَّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

لولا مُجالسة أقوام ينتقون أطايب الكلام،

كما يُنتقى أطايب الثَّمر، لما أحببتُ البقاء!

يا صاحبي: مجالس الصَّالحين تُرقِّقُ القَلب، وتُنير العقل!

يحدِّثونك عن الجنَّة فتشتاقُ لها وتجتهد،

ويحدِّثونك عن النَّار فتخافُ منها وتبتعد!

قصَّة جميلة من هذا، وطرفة أدبيَّة من ذاك، ويحلو المجلس،

قالها لكَ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من قَبل:

الجليس الصالح كحامل المِسك، إمَّا أن يُحذِيكَ، وإمَّا أن تبتاع منه!

يا صاحبي: أيُّ مِسكٍ أحلى من أحاديث الدِّين والأدب والحياة،

فإن كان الحديث موجَّهاً إليك نقَّاكَ كما يُنقّى الثَّوب بغسله،

وإن كان لغيركَ زكّاكَ فرَقّقَ قَلبك، وأنارَ عَقلَكَ!

49

إنَّما الدِّين المُعاملة!

في كتاب الزُّهد لعبد اللّه بن المبارك:

قال أميرُ المؤمنين عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه:

لا يُعجبنَّكم من الرَّجل طنطنتُه في صلاته،

ولكن من أدَّى الأمانة، وكفَّ عن أعراض النَّاس فهو الرَّجل!

يا صاحبي: إنَّما الدِّينُ المعاملة!

والعبادات التي لا تنعكس على الجوارح أمانةً وأدباً ورحمةً،

فقد أدركَ الإنسان منها القِشرة ولم يبلغ لُبَّ الثَّمرة!

دينُكَ في متجَرِكَ، وشركتِكَ، ووظيفتك حين لا تغشُّ ولا تكذب!

دينُكَ في أن يأمنَ جارُكَ بوائقكَ!

دينُكَ في خُلقِكَ مع زوجتكَ، وَخُلُقِكِ مع زوجكِ!

دينُكَ في رحمكَ الموصولة، ويدِكَ الممدودة بالخير!

دينُك في أن يخالطكَ النَّاس أو يغادروك وقد أمنوا في حِلِّهم وتِرحالِهم!

50

البَطالة عَطالة!

في كتاب صيد الفوائد لابن القيِّم:

قال أميرُ المؤمنين عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه:

إنِّي لأرى الرَّجل فيعجبني، فأقول: هل له حِرفة؟

فإن قالوا: لا.

سقطَ من عيني!

يا صاحبي: الحاجةُ إلى النَّاس تَذهَبُ بماء الوجه!

وأن يأكل المرء لقمةً من كَدِّه خيرٌ له من مائدةٍ يستعطيها!

صحيحٌ أنَّ المال ليس الحياة، ولكنَّه عَجَلَةُ الحياة!

وفرقٌ شاسِعٌ بين من يسير على قدميه، وبين من يسير بأقدام غيره!

والبطالة لا يمكن حصر مضارِّها بعدم وجود مصدر رزقٍ فقط،

وإنَّما بإحساس المرء بقيمته، وبنظرته لنفسه،

وبأبواب الفراغ التي يدخل منها الشَّيطان: البَطالة عَطالة!

51
أنتَ تتعاملُ مع الكريم!

في كتابِ صيد الفوائد لابن القيِّم:
قال أميرُ المؤمنين عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه:
إنِّي لا أحملُ همَّ الإجابة، ولكنِّي أحملُ همَّ الدُّعاء،
فإذا أُلهِمتُ الدُّعاء، فإنَّ الإجابة معه!
يا صاحبي: أنتَ تتعامل مع الكريم!
كُنْ على يقينٍ أنَّ الله إذا ألهمَكَ الاستغفار، فقد أراد أن يغفر لكَ،
ألم تقرأ قول رَبِّكَ: ﴿ ثُمَّ تابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا ﴾،
فقد تمنَّنَ عليكَ أوَّلاً، ثمَّ أقامكَ على الطريق!
وما ألهمكَ الدُّعاء إلَّا لأنَّه يريدُ أن يعطيَكَ،
إنَّ الكريم من النَّاس إذا طُرِق بابه بالحاجة قضاها،
فكيف بالله، وهو أكرم الأكرمين!

52

إنَّما يرفعُ الإنسانَ عملُه!

روى الإمامُ مالكٌ في الموطَّأ من حديثِ أنس بن مالكٍ رضي الله عنه قال:

دخل أميرُ المؤمنين عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه بستاناً،
فسمعتُه يقول وبيني وبينه جدارٌ:
عمر أمير المؤمنين، بَخ، بخ، واللّهِ لتَتّقِيَنَّ اللّه أو ليعذِّبنَّك!
يا صاحبي: إنَّما يرفعُ الإنسانَ عملُه، ويخفضُه عملُه!
إنَّ المالَ لن يدخلَ معكَ القبر، ولكن صدقَتُكَ ستدخل!
وإنَّ المنصبَ لن يدخلَ معكَ القبر، ولكن رِفقَكَ بالنَّاس سيدخل!
وإنَّ الشَّهادات لن تدخل معك القبر، ولكن أخلاقَك ستدخل!
إنَّ النِّعمِ التي بين يديكَ، ما هي إلَّا أدوات اختبارٍ،
يريدُ اللّه أن ينظرَ ما أنتَ فاعلٌ بها،
هل استعنتَ بها على رِضى اللّه، أم استعملتها للتَّجبُّرِ على النَّاس،
لن يأتيَ أحدٌ يوم القيامة ليقول: ربِّ اغفر لي أنا أحملُ شهادةً عُليا!

53

يُعرفُ المرءُ بعطائه لا بأخذِه!

في كتاب فضائل عمر بن الخطَّاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لابن الجوزيِّ:
قَدِمَ على أمير المؤمنين عُمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مسكٌ وعنبرٌ من البحرين،
فقال: ودِدْتُ أنِّي وجدتُ امرأةً حسنَةَ الوزن،
تزِنُ لي هذا الطيب حتَّى أفرِّقه على المسلمين،
فقالت له زوجته عاتكة: أنا جيِّدةُ الوزن، فهَلُمَّ!
فقال: أنتِ لا، أخشى أن يعلق بأصابِعِك منه شيءٌ،
فتمسحِين به عُنُقَك، فأُصِيبَ فضلاً على المسلمين!
يا صاحبي: يُعرَفُ المرءُ بعطائه لا بأخذه، وبورعه لا بخوضه!
لا يحقُّ لكَ أن تُحوِّلَ المالَ العامَ إلى مالٍ خاص!
قرطاسية الشَّركة لعملِ الشَّركة وليست لأولادك في المدرسة!
وسيَّارة العملِ للعملِ وليست للمشاوير العائليَّة،
الكثيرُ من الأشياء التي نراها صغيرة، هي للأسف ليست صغيرة!

54

من لا ورَعَ لهُ لا دِينَ له!

في كتابِ تاريخِ المدينة لابن شبَّة:

أنَّ أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه سقاه غلامُه لبناً فأنكره،

فقال له: ويحكَ من أين هذا اللَّبن؟

فقال: يا أميرَ المؤمنين إن ناقتكَ قد انفلتَ عليها ولدها فشربها،

فحلبتُ لكَ ناقةً من بيت المال!

فقال له عمر رضي الله عنه: ويحكَ، لقد سقيتَنِي ناراً!

يا صاحبي: من لا ورَعَ له لا دين له!

ارتعبَ الفاروقُ من شَربةِ لبنٍ رآها لا تحِلُّ له،

وأمنتُ أنا وأنت في أشياء أكبر من هذا بكثير!

وَكُن على يقينٍ أنَّ المرءَ إذاً لم يحاسبْ نفسَهُ على الصَّغيرة،

ما يلبثُ أن يتجرَّأ على الكبيرة!

فإنَّ النّفس كالطِّفل المُدلَّلِ، كلَّما أعطيتَه طلبَ المزيد!

55

اِقرأْ القُرآن كأنَّما عليك أُنزِل!

في كتاب فتح الباري لابن حجر، والمصنَّف لعبد الرَّزَّاق:
قال عبد الله بن شداد: سمعتُ أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه،
يقرأ في صلاة الصُّبْح من سورة يوسف،
﴿ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ ﴾،
وله نشيجٌ / بكاءٌ أسمعُهُ وأنا في آخر الصُّفوف!
يا صاحبي: اِقرأ القُرآن كأنَّما عليكَ أُنزِل!
إذا مررتَ بآيةٍ عن الموت فاعتبرها إنذاراً،
وإذا مررتَ بآيةٍ عن الصَّدقة فاعتبرها تذكيراً،
وإذا مررتَ بآية عن للاستغفار فاعتبرها نداءً،
وإذا مررتَ بآيةٍ عن الحرام فاعتبرها تحذيراً،
صحيحٌ أنَّ هذا القرآن لم يُنزَلْ علينا، ولكنَّه أُنزِلَ إلينا!

56
كلُّ لحظةٍ لكَ فِي الحياة هي امتحان!

في كتاب مناقب عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه لابن الجوزيِّ:
عن طارق بن شهاب قال:
قلنا لابن عبَّاسٍ رضي الله عنه: أيُّ رجلٍ كان عمر رضي الله عنه؟
فقال: كان كالطَّائر الحَذِرِ الذي كأنَّ له بكلِّ طريقٍ فخّاً!
يا صاحبي: الحياة ستراوِدُك كلَّ يوم عن دينك فانتبه،
ولو قيل لكَ أنَّ الأيام تنصبُ لكَ فيَ كلِّ خُطوةٍ فخّاً فصدِّقْ!
في كلِّ بيعٍ وشراءٍ امتحانٌ في الغشِّ والأمانة،
وفي كلِّ تعاملٍ مع الأبوين امتحانٌ في البرِّ والعُقوق،
وفي كلِّ موقفٍ مع الأقاربِ امتحانٌ في الصِّلة والقطيعة،
وفي كلِّ موقفٍ مع الجار امتحانٌ في الإحسان والإساءة،
وفي كلِّ موقفٍ مع الزَّوجة امتحانٌ في اللِّين والفُجور،
إنَّ ورقةَ الامتحانِ لن تُطوى إلَّا على يد ملك الموتِ،
وإلى تلك اللَّحظة، كلُّ لحظةٍ لكَ في الحياة هي امتحان!

57

لا أُرِيد أن ينقصَ أحدٌ منَّا في الجنَّة!

في الموطَّأ للإمام مالك:
كان عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه يُصلِّي ما شاء اللّه،
حتَّى إذا كان آخر الليل، أيقظ أهله، يقول: الصَّلاة، الصّلاة،
ويتلو هذه الآية: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ علَيْها ﴾،
يا صاحبي: ما الحُبُّ إلَّا أن تسعى لتجتمعَ بأحبابِك في الجَنَّة!
كانت الأمُّ توقِظُ أبناءها لصلاة الفجر قائلةً:
قوموا إلى صلاتكم، لا أريد أن ينقصَ أحدٌ منَّا في الجنَّة!
وهذا دأبُ الأنبياء، وفقهُهُم، وحُبُّهم لأهاليهم،
ألم ترَ أنَّ اللّه تعالى حين ذكر لنا مناقب إسماعيل عليه السلام في القرآن،
عدَّ من بينها حرصه على صلاة أهله:
﴿ وكانَ يَأمُرُ أهلَهُ بِالصَّلاةِ والزَّكاةِ وكانَ عِندَ رَبِّهِ مَرضيًّا ﴾

58
قضاءُ حوائجِ النَّاس عبادةٌ!

في كتابِ مناقب عمر بن الخطَّاب لابن الجوزيِّ:
خرج أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب ﵁ ليلةً،
فرآه طلحة، فتبِعَه لينظرَ أين يذهب،
فدخلَ داراً، ثمَّ خرج منها، فدخل طلحة الدَّار،
فوجد فيها عمياءَ مُقعدة، فقال: من هذا الذي دخل إليك؟
فقالت: هذا رجلٌ يأتيني منذ زمن،
يأتيني بما أحتَاج، ويُخرجُ عنِّي الأذى!
يا صاحبي: إن قضاءَ حوائج النَّاس عبادة!
وإنَّ الله تعالى عند المنكسرةِ قلوبهم!
عند من أثقلَه الدَّين، ومن أنهكَهُ المرض، من وقعَ عليه ظلمٌ،
عند هؤلاء المقطوعين من شجرة تكون أنتَ شجرتَهم!
وما عُبِد الله تعالى بشيءٍ أحبُّ إليه بعد الذي فرضَهُ من جبرِ الخواطر!

59

اللهمَّ لا تجعلْ حوائِجَنا إلَّا عندكَ!

في مصنَّف ابن أبي شيبة، ومناقب عمر لابن الجوزيِّ:
كان أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه يقول:
اللهُمَّ لا تُكثِرْ لي من الدُّنيا فأطغى، ولا تُقلِّل لي منها فأنسى،
فإنَّه ما قلَّ وكفى، خيرٌ ممَّا كثرَ وألهى!
يا صاحبي: لا الفقر مِيزَة، ولا الغِنى سُبَّة!
وإنَّما الأمر كلُّه في رضى العبد على قضاء ربِّه،
الفقر مع الصَّبر، خيرٌ من الغنى دون الشُّكر،
والغِنى مع الشُّكر، خيرٌ من الفقرِ مع السَّخَط،
على أنَّ الحاجة تُثقل كواهل أهلها،
فاللهمَّ لا تجعل حوائجنا إلَّا عندكَ،
واجعل الدُّنيا في أيدينا، ولا تجعلها في قلوبنا!

60

وأنَّى لنا بقلبِ عُمَر؟!

في كتابِ الزُّهدِ للإمام أحمد:

قال جابر رضي الله عنه: رأى أَميرِ المؤمنين عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه في يدي لحماً،

فقال: ما هذا يا جابر؟

قلتُ: اشتهيتُ لحماً فاشتريتُه.

فقال: أوَكُلَّما اشتهيتَ اشتريتَ؟!

يا صاحبي: ما أحلَّه الله للنَّاس فليس لأحدٍ أن يُحرِّمَه!

ولكن هذا هو عمر، رجلٌ يعيشُ في الآخرة وهو في الدُّنيا،

لا ينظرُ إلى الأمر من زاوية الحلال فقط، وإنَّما بأثرِهِ في القلب!

هذه النَّفسُ إذا عوَّدتها أن تعطيها كلَّ ما تريد من الحلال،

لرُبَّما صعب عليكَ لاحقاً أن تمنعها عن كلِّ ما تريد من الحرام!

عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه كان يحرُس قلبه جيّداً،

إنَّنا لن نفهم عمر ما لم يكن لنا قلبه، وأنَّى لنا بقلب عمر!

61
القاعدةُ الذَّهبيّة عند عمر بن الخطَّاب!

في كتاب الزُّهد الإمام أحمد:

مرَّ أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه على مزبلةٍ فوقف عندها،

فَكأنَّ أصحابه تأذَّوا منها.

فقال لهم: هذه دُنياكم التي تحرصون عليها!

يا صاحبي: القلبُ لا يتّسعُ للدُّنيا والآخرة معاً،

كلَّما زادت مساحة الدُّنيا في القلب انكمشت مساحة الآخرة،

وكلَّما زادتْ مساحة الآخرة في القلب انكمشت مساحة الدُّنيا!

الفكرة كلُّها ليست قائمة على هجران الحياة واتِّخاذ صومعةٍ،

على العكس تماماً، هذا دينُ العملِ والتَّفوق والنَّجاح،

هذا شيءٌ فهِمَهُ عمر، وعمِل بمقتضاه، وأقامَهُ حقَّ قِيام،

بنى دولةً عظيمةً، وأنشأ الدَّواوين، ووضع التَّقويم، ونظَّم بيت المال!

فكرة عمر كلُّها قائمةٌ على قاعدةٍ ذهبيَّة من أدركها نجا:

أن تكونَ الدُّنيا في اليدِ لا في القلب!

62

المُعاملة ليست بالمِثل بل بالأصلِ!

في كتاب مناقب عمر بن الخطَّاب ﵁ لابن الجوزيِّ:
قال أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب ﵁:
وما كافأتَ من عصى اللّه فيك، بمثلِ أن تُطيع اللّه فيه!
يا صاحبي: المعاملةُ ليست بالمثلِ وإنَّما بالأصلِ!
والنُّزول شيءٌ يسيرٌ، الصَّعبُ هو الارتقاء!
وتذكَّر أنّكَ لو عاملتَ الغشَّاشَ بالغِشِّ،
والكذَّاب بالكَذِب، والغادر بالغدر،
لكنتَ كمن يجمع أقبح ما في النَّاس فيه!
حتَّى إذا غضبتَ للّهِ، لا تَغضبْ له إلَّا بما يُرضيه!
نحن أهل دينِ نظافة الوسائل فيه من نظافةِ الغايات!

63

لا تُراهنْ على مكانتِك في قلبِ أحد!

في كتابِ تاريخِ دمشقٍ لابن عساكر:
قال أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه،
ثلاثٌ يُصفِّيْنَ لك ودَّ أخيك: أن تسلِّم عليه إذا لَقِيته،
وأن توسِّعَ له في المجلس، وأن تدعوه بأحبِّ أسمائه إليه!
يـا صاحبـي: الحُـبُّ كالإيمـان، مـا وقـرَ فـي القلـب وصدَّقـه العمـل!
وكما أنَّ الإيمان يزيدُ بالطَّاعة وينقُصُ بالمعصية،
كذلك الحبُّ يزيدُ بالوِفاق، وينقصُ بالشِّقاق!
والنَّاسُ مفطورةٌ على حُبِّ من يلين لها، ويجبُر خواطرها،
فلا تُراهن على مكانتِك في قلب أحدٍ وتتمادى،
مكانتُك في القلوبِ عليكَ أن تحافظَ عليها بنفسك!

64
لا تجعل صدرَك ساحةً لمعاركَ تافهةٍ!

في كتاب مناقب عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه لابن الجوزيِّ:
قال أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه:
لا تظن بكلمة خرجت من امرئٍ مسلم شرّاً،
وأنتَ تجدُ لها في الخير محملاً!
يا صاحبي: قالت العرب: سوء الظَّنِّ من حُسْنِ الفِطَنِ!
ولكنَّ هذا الكلام له موضعه، ولعلَّهم أرادوا ألا تثقَ بسرعة!
ولكنَّهم لم يقولوا: إنَّ سيِّءَ الظَّنِّ يشقى، ويُشقِي معه النَّاس!
لا تجعلْ صدرَكَ ساحةً لمعاركَ تافهة،
إذا أمِنْتَ فافتحْ قَلبكَ، وإذا ارْتَبتَ فاتْرُك مسافة!
لا تبنِ قصوراً في الهواء، ولا ترسم خصوماتٍ وتعيشها واقعاً،
ما دمتَ تجِدُ للأمر محمَلاً على الخير، فاحمِلْ على الخير،
فهذا أسلمُ لكَ وللنَّاسِ!
وتذَكَّرْ تلك القاعدة الذَّهبيَّة: الخطأ في العفو خيرٌ من الخطأ في العقوبة!

65

اُهرُب بقلبِك!

في كتابِ الزُّهدِ لعبد اللّه بن المبارك:
قال أميرُ المؤمنين عمر بن الخطَّاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:
يا معشر المهاجرين، لا تُكثِروا الدُّخول على أهل الدُّنيا،
فإنَّه مسخطةٌ للرِّزق!
يا صاحبي: كلَّما اتَّسعَتْ عينُكَ ضاقَ صدرُك!
لأنَّ النَّظر إلى ما في أيدي الأخرين،
يفسِدُ عليكَ مُتعة الاستمتاع بما بين يديكَ!
الإنسانُ مفطورٌ على المقارنة،
لهذا كُلَّما عاشرتَ من يملِكُون كثيراً جداً استقلَلْتَ نِعمَ اللّه عليك!
والعكسُ بالعكسِ، زيارة مريضٍ ستُرِيك نعمة الصِّحَّة التي لا تنتبه لها!
المشيُ في الجنائز سيُريك رحلتكَ الأخيرة فتزهد!
اُهرُبْ بقلبكَ، فإنّ القلبَ إذا فسدَ، فسدَ معه كلُّ شيءٍ.

66

أَمسِكْ زِمام نفسِك!

في كتاب الزُّهد لوكيع بن الجرَّاح:

قال أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

التُّؤُدة في كلِّ شيءٍ خيرٌ، إلَّا ما كان من أمر الآخرة!

يا صاحبي: قالت العرب: في التَّأنِّي السَّلامة، وفي العجلة الندامة!

لا تتخذْ قراراً وأنت في شدَّةِ غضبِك،

الغضبُ يُعمي العقل، فتريَّث!

ولا تقطعْ وعداً وأنت في شِدَّة فرحِك،

الفرحُ يُغرقكَ في نشوتِه، فتمهَّلْ!

عند الغضبِ لا نُفكِّر إلَّا بالانتقام، والحقدُ والدُ القرارات الخاطئة!

وعند الفرحِ لا نُفَكِّر إلَّا بالمكافأَة، والفرحُ والد القرارات المتسرِّعة،

فأمسِك زمام نفسِك!

67

جالِسُوا التَّوَّابين!

في كتابِ روضة العقلاء لابن حِبَّانٍ:
قال أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:
جالِسُوا التَّوَّابين فإنَّهم أرقُّ شيءٍ أفئدة!
يا صاحبي: الذَّنبُ الذي تعقبه توبة،
خيرٌ من الطَّاعة التي تملأ قلب صاحبِها بالإعجابِ بنفسه!
مقتل إبليس كلُّه كان لأنَّه استكثر طاعته،
ونجاة آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ كلُّها كانت لأنَّه استعظم ذنبه!
وإنَّ أرقَّ النَّاس قلوباً، من كان لهم معصية فصدقت توبتهم عنها،
هؤلاء ينظرون في ذنوب النَّاس بعين الرحمة،
لأنَّهم يتذكَّرون خيبتهم القديمة، وانكسارَهم السَّابِق!
وإيَّاك، إيَّاك أن تُعيِّر تائباً بمعصيةٍ قديمة،
فإنَّما العبرة بالخواتيم، والفوز ببلوغ نهاية السِّباق لا بجهد المِضمار!

68

ثمَّة عفوٌ أقسى من الانتقام!

في كتاب مناقب عمر بن الخطَّاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لابنِ الجوزيِّ:
قال أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:
ما تجرَّع عبدٌ جرعة أحبُّ إلى اللّه من جرعة غيظٍ!
يا صاحبي: قالت العرب: كظمُ الغيظ نصف الانتقام!
لن ينسى اللّه ابتلاعك للإساءة،
ولا عتباً جارحاً كنت قادراً عليه فكتمته،
ولا رغبةً جارفةً في الانتقام كانت يسيرةً فألجمتها،
واللّه، ما زادَ اللّه عبداً بالعفوِ إلَّا عِزًّا،
ولو أنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قتل أهل مكة يوم فتحها قصاصاً،
ما بلغ منهم مقدار ما بلغ بعفوه عنهم!
ثمَّة عفوٌ أقسى على المخطئ من الانتقام!
وكلّما أوعزتْ لك نفسُك بالانتقام، اقرأ عليها:
﴿ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ ﴾!

69

المالُ ليسَ وسخ الدُّنيا!

في كتاب مناقب عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه لابن الجوزيِّ:
قال أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه:
لا يحزنك أن يُجْعَلَ لكَ كثير حظٍّ من أمر دُنياك،
إذا كنتَ ذا رغبة فيِ أمر آخرتِكَ!
يا صاحبي: إنَّ اللّه تعالى يُعطي الدُّنيا، لمن يُحبُّ ولمن يكره!
ولكنَّه لا يُعطي هذا الدِّين إلَّا لمن يُحبُّ!
فإن أعطاكَ الدِّين، فلا يضرُّكَ ما منعكَ بعده،
وإن أعطاك الدِّين والدُّنيا معاً فقد أجزل لك العطاء،
فاجعَلْ نِعمَ اللّهِ عليكَ في ميادين يُحِبُّها،
كثيرٌ من العبادات، وجبر الخواطر، وقضاء الحاجات يحتاجُ إلى مال،
المالُ ليس وسخ الدُّنيا، وسخ الدُّنيا هم النَّاس الذين جعلوا المال إلهاً!

70
آمَنُ ما يكون المرءُ حين يُغلِقُ عليه بابه!

في كتابِ الطَّبقاتِ لابن سعد:

قال أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

خُذوا بحظِّكم من العُزلة!

يا صاحبي: لا شيءَ يُعيدُ الإنسان إلى نفسِه إلَّا نفسه!

تحتاجُ من فترةٍ إلى أخرى أن تجلسَ وحدك،

هذه العزلة لا تعني كُره النَّاس،

ولا الرغبة في إبعادهم، ولكن كثرة الخُلطة مؤذية جداً!

فسلاماً على من وجد في العزلة نفسه، وأصلح ما بينه وبين ربِّه،

وانكبّ على مصحفه، وتمعَّنَ في رياض الصَّالحين، وتفسير ابن كثير،

واشتغلَ بالذِّكر، وتثقَّفَ بالقراءة،

وأعطى الزَّوجة والأولاد اهتماماً وحُبّاً ووقتاً لم يعطه من قبل،

آمَنُ ما يكون المرءُ حين يُغلِقُ عليه بابه!

71
طلبُكَ ليس عندنا!

في مُوطَّأ الإمام مالك:

قال أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

إذا رأيتُم الرَّجُلَ يُضيع الصلاة، فهو لغيرها من حقِّ اللهِ أشدُّ تضييعاً!

يا صاحبي: الصلاةُ هي عمود هذا الدِّين!

وهي أوَّل ما يُسأل عنه المرء يوم القيامة،

لذا كانت آخر ما وصَّى به النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمَّته وهو على فراش الموت!

جاء شابٌ لخطبة فتاةٍ،

فلم يسأله والدها عن عمله ولا مرتَّبه، ولا شهادته، ولا منصبه،

وإنَّما سأله: في أي ساعةٍ يُؤذِّنُ المؤذِّنُ لصلاة الفجر؟!

فلم يعرف الخاطب!

فقال له أبوها: يا بُنيَّ، طلبُك ليسَ عندنا!

72

لا عِفَّة لمن لا شهوة له!

في تفسيرِ ابن كثير:

كُتِبَ إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

رجلٌ لا يشتهي المعصية ولا يعملُ بها أفضل،

أم رجلٌ يشتهي المعصية ولا يعمل بها؟

فَكتبَ: إنَّ الذين يشتهون المعصية ولا يعملون بها،

﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ﴾!

يا صاحبي: لا تُحسَبُ الفضيلة فضيلة ما لم يقدر الإنسان على ضدها!

فلا عِفَّة لمن لا شهوة له،

ولا عفو لمن لا يستطيع الانتقام،

وليس أميناً من ليس في مقدوره أن يخون،

الفضيلة الحقيقيَّة أن تتزيَّنَ لكَ الرذيلة فتأباها!

73

ليس الإيمانُ بالتَّمنِّي!

في كتاب مناقب عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه لابن الجوزيِّ:
قال أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه:
إنَّ الإيمان ليس بالتَّمنِّي ولكنَّه بالحقائق،
فمن قام على الفرائض، وسدَّدَ نيَّته، فذلك النَّاجي!
يا صاحبي: لو كانت الغايات تتحقَّقُ بالتَّمنِّي لأدركَ الكلُّ غاياتهم،
ولكنَّها دار من أراد فيها شيئاً شَمَّرَ من ساعديه، وعمِلَ لأجله،
فإذا كانت الدُّنيا لا بلاغ لها إلَّا بالعمل،
من باب أولى أن تكون الآخرة لا بلاغ لها إلَّا بالعمل!
رأى أميرُ المؤمنين عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه أعرابياً صلَّى صلاةً خفيفةً،
ثمّ قال: اللهُمَّ زوِّجني بالحور العين!
فقال له: يا هذا، أقللتَ المهر، وأعظمت الخطبة!

74

السُّنَّةُ سفينة نوحٍ!

في كتاب مناقب عمر بن الخطَّاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ لابن الجوزيِّ:
قال أميرُ المؤمنين عمر بن الخطَّاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ:
الاقتصاد في السُّنَّة خيرٌ من الاجتهاد في الضَّلالة!
يا صاحبي: هذا دينُ الاتِّباع لا دينُ الابتداع،
وما قامت بدعةٌ في الأرض إلَّا بهدم سُنَّةَ!
وأن يمشي المرءُ على طريق الحقِّ ببطءٍ،
خيرٌ له من أن يركضَ كالرِّيح في طريق الباطل،
كان سُفيان الثَّوريُّ يقول: البِدعة أحبُّ إلى إبليس من المعصية،
فالمعصية يُتاب منها، والبدعة لا يُتاب منها!
وقصده أنَّ المعصية متحقِّقٌ شُذوذها،
أمَّا البِدعة يحسبُها صاحبها طاعة!
يا صاحبي: إنَّ باب اللّهِ لا يُفتحُ إلّا لمن طرقه بأنامل السُّنَّة!
كان الإمام مالك يقول: السُّنَّة سفينةُ نوحٍ، من ركِبها نجا، ومن تخلَّفَ عنها غرِق!

75
لا أدخلُ في أمرٍ أُريدُ الخروج منه!

في كتاب سِير السّلف الصَالح لإسماعيل الأصبهانيِّ:
قال أميرُ المؤمنين عمر بن الخطَّاب ﵁:
الفَطِنُ ليس الذي إذا وقع في الأمر تخلَّص منه،
ولكن الذي يتوقَّى الأمر حتَّى لا يقع فيه!
يا صاحبي: قالت العربُ: درهمُ وِقاية خيرٌ من قِنطار علاج!
وإنَّ الابتعاد عن مصادر اللَّهيب أيسر من مكابدة إطفاء الحرائق،
وإنَّ العاقل لا يدخلُ ابتداءً بما لا يريد أن يكمله؟
سأل معاوية ﵁ عمرو بن العاص ﵁: ما بلغ من دهائك؟
فقال: ما دخلتُ في أمرٍ إلَّا وعرفتُ كيف أخرجُ منه!
فقال له معاوية ﵁: أمَّا أَنَّا فلا أدخلُ في أمرٍ أُريدُ الخروج منه!

76
اُنظُرْ إلى رغيفك من أين هو!

في كتابِ مناقب عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه لابن الجوزيِّ:
كان أميرُ المؤمنين عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه يأخذ بيدِ الصَّبيِّ:
ويقولُ: ادعُ لي فإنَّكَ لم تُذنِبْ بعد!
يا صاحبي: لا شيءَ يحجب الدُّعاء كالذُّنوب!
ذكر النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم الرَّجلَ يُطيل السَّفر، أشعث أغبر،
يمدُّ يديه إلى السَّماء: يا ربُّ، يا ربُّ!
ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وغُذي بالحرام، فأنَّى يُستجاب له!
جاء في الأثر أنَّ رجلاً قال لعيسى عليه السلام: أوصني!
فقال له: اُنظُرْ إلى رغيفك من أين هو! أي اِبحث عن الحلال!
وروى الطَّبرانيُّ، أنَّ سعِد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال للنَّبيِّ صلى الله عليه وسلم:
يا رسول الله، اُدعُ الله أن يجعلني مستجاب الدَّعوة!
فقال له: يا سعد، أطِبْ مطعمَك تَكُن مستجاب الدَّعوة!

77
حبُّ آل بيت النُّبوَّة عبادة!

في سير أعلام النُّبلاء للإمام الذَّهبيِّ:

استأذن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما على أبيه فلم يأذن له، فانصرف، فلَقِي الحُسين بن علي رضي الله عنه يريد عُمر بن الخطَّاب رضي الله عنه أيضاً،

فقال له: استأذنتُ على أبي فلم يأذنْ لي،

فرجع الحُسين، فلَقِيه عمرُ رضي الله عنه بعد ذلك فقال: ما منعك أن تأتيني؟

فقال: أتيتُكَ، ولكن أخبرني عبد الله أنَّك لم تأذن له، فرجعتُ!

فقال له عمر: وأنت عندي مثله، وهل أنبتَ الشَّعر على الرَّأس غيركم؟!

يا صاحبي: حُبُّ آل بيت النُّبوَّة عبادة!

وقد كان الصَّحابة يتسابقون في هذه العبادة،

وكان عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه لا يُسبَقُ في حُبِّهم له،

ألا ترى كيف فضَّل الحُسين رضي الله عنه على ابنه،

ألا ترى أنَّه تزوَّج أم كلثوم بِنت علي رضي الله عنه على غير رغبةٍ في النِّساء، ولكنَّه سرَّه أن يكون هذا النَّسبُ الشريف في بيته!

78

الإهانات المتكرِّرة للأطفال قصٌّ لأجنحتهم!

في سِير أعلام النُّبلاء للإمام الذَّهبيِّ:
كان أميرُ المؤمنين عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه، إذا نزل به أمر، دعا الصِّبيان فاستشارهم، يبتغي حدَّة عقولهم!

يا صاحبي: بناء شخصيَّة طفلٍ أسهل من ترميم شخصيَّة مراهق!

لا تصنع وحشاً ثمَّ تشتكي أنَّك كنت فريسته!
ولا تصنع إنساناً مضطرباً فإنَّك ستحصد اضطرابه!
بعيداً عن حدَّة عقول الصِّبيان إذا وُجدت،
ثمَّة شيءٌ أكثرُ نُبلاً، وهو إشعارهم بقيمتهم باستشارتهم،
الطِّفلُ عندما يتربَّى على أنَّه مهم تزدادُ ثقته بنفسه،
وعندما يُستَمعُ لرأيه يَكبرُ وهو مقدِّرٌ لذاته،
الإهانات المتكرِّرة للأطفال قصٌّ لأجنحتهم،
وتعويدهم على استمراء الذُّل!

79

أعقلُ النَّاسِ أعذرهم للنَّاس!

في كتاب مناقب عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه لابن الجوزيِّ:
قال أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه:
أعقلُ النَّاس أعذرهم للنَّاس!
يا صاحبي: النَّاسُ ليسوا عبيداً كما تُريد!
فلا ترفعْ سقف توقُّعاتك بالنَّاس ثمَّ تحاسبهم عليه!
ولا تُحرِجْ أحداً ليفعل مُكرهاً ما لا يفعله بخاطره!
ولا تأخذْ شيئاً من صاحبه بالحياء!
ولا تُدقِّقْ في الأعذار لتكتشف دقَّتها!
النّبيلُ من النَّاس لا يحشرُ النَّاس في زاويةٍ ضيّقة!
دَعْ للأرواحِ متنفَّسها!

80

الطُّيورُ على أشكالها تقع!

في تفسير ابن كثيرٍ، وتفسير الطَّبريِّ:

قال النُّعمان بن بشير: سمعتُ أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه،

يقول: ﴿ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴾،

الفاجرُ مع الفاجر، والصَّالح مع الصَّالح!

يا صاحبي: قالت العربُ: الطُّيورُ على أشكالها تقع!

وما من صحبة إلَّا وفيهم امتزاجٌ في الطِّباع،

فشبيهُ الشَّيء منجذِبٌ إليه!

ولكنَّ الحقَّ يُقال أنَّ الإنسان لا يملك مساحة الاختيار دائماً،

فالحياة قد تُوقعه على غير شكله،

وتجبره على كثيرٍ من الوجوه التي لا تشبهه!

81
المرأة جنَّةُ الدُّنيا ونارها!

في السُّنن للبيهقيِّ، وتاريخ دمشق لابن عساكر،
قال أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:
لم يُعط أحدٌ بعد الكُفر شيئاً شرًّا، من امرأةٍ حديدة اللسان، سيِّئة الخُلق!
ولم يُعطَ أحدٌ بعد الإيمان شيئاً خيراً، من امرأةٍ حسنة الخُلق، ودودٌ ولودٌ!
يا صاحبي: إنمَّا المرأة جنَّةُ الدُّنيا ونارها!
وإذا أردتَ أن تعرفَ الفرق بين امرأة وامرأة،
فقارن بين خديجة رضي اللّه عنها، وبين زوجتَي نوحٍ ولوطٍ عليهما السَّلام!
تأمّل كيف كان النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يأوي إليها بعد التَّعب،
وكيف كانا يأويان من تعب الدَّعوة إلى تعب البيت!
قاتلٌ جداً ألَّا تكون الجبهة الدَّاخلية آمنة!

82

الإنصافُ عزيزٌ!

في كتابِ البيانِ والتَّبيين للجاحظ:

قال عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه لأبي مريم الحنفيِّ قاتل أخيه زيد بن الخطَّاب رضي الله عنه:

واللّهِ لا أُحِبُّكَ حتَّى تُحِبّ الأرضُ الدَّم المسفوح!

فقال له أبو مريم: فتمنعني لذلك حقّاً؟

فقال له عمر رضي الله عنه: لا!

فقال: فلا ضير، إنَّما يأسفُ على الحُبِّ النِّساء!

يا صاحبي: ليس العدلُ أن تُعطيَ الحقَّ لمن تُحِبُّ،

وإنَّما العدلُ أن تُعطيَ الحقَّ لمن تكره!

فإذا أحببتَ فلا تُحابِ، وإذا كرهتَ فلا تظلِمْ!

من أحكمِ ما قالت العرب: الإنصافُ عزيزٌ!

83
هذا الدِّينُ ليس مظهراً!

في كتابِ كنز العمَّال لعلاء الدِّين الهنديِّ:

نظر أميرُ المؤمنين عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه إلى شابٍ قد نكَّس رأسه،

فقال له: ارفعْ رأسك، إنَّ الخشوع لا يزيد عمَّا في القلب،

فمن أظهر للنَّاس خشوعاً فوق ما في قلبه،

فإنَّما أظهر للنَّاس نِفاقاً على نِفاقٍ!

يا صاحبي: التَّقوى ليست في الصَّوت المتماوت،

ولكنَّها في الصَّوتِ الهادرِ بالحقِّ!

وإنَّ الحياء ليس في احمرارِ الوجهِ، ولكنَّه في ألَّا يراك اللّه حيث نهاك!

وإنَّ الزُّهد ليس من المشيَةِ المريضة،

ولكنَّه في الخطى الواثقة القوية إلى الحلال،

هذا الدِّين ليس مظهراً، هذا الدِّين جوهر!

84
إنَّما جُعِل الزَّواج للعفَّة!

في كتاب تاريخ المدينة لابن شبَّة، والسُّنَن لابن منصور:
قال أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه:
لا تُنكحوا المرأة الرَّجلَ الدَّميم القبيح،
فإنَّهنَّ يُحبِبنَ لأنفسهنَّ ما تحبُّون لأنفسكم!
يا صاحبي: إنَّما جُعِلَ الزَّواج للعفَّة!
وإجبار المرأة على من لا يستهويها لا يُحقِّقُ هذه الغاية!
والرُّؤية الشَّرعيَّة ليست للرَّجل وحده ليرى إن كانت المرأة تناسبه،
بل هي أيضاً للمرأة لترى إن كان الرَّجل يُناسبها!
لا الشَّاب الذي يشترطُ الجمال في المرأة شهوانِيٌّ،
ولا المرأة التي تشترط الوسامة في الرَّجل باحثةٌ عن المتعة!
كلُّ إنسانٍ أدرى بمواضع القَبول في نفسه،
صحيحٌ أنَّ البيوتَ لا تقوم على جمالِ المرأة، ولا وسامة الرَّجل،
ولكن هذا لا يعني أن نسلبَ الإنسان حقَّه في الاختيار!

85
القريةُ كلُّها أخوالُه!

في كتابِ الأدبِ المفردِ للإمام البخاريِّ:
قال أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:
تعلَّموا أنسابَكم لتَصِلُوا أرحامكم!
يا صاحبي: إنَّ الرَّحمَ في أيامنا تشكو إلى اللّهِ ظلم العباد!
لقد شاع ألا يَعرف هذا الجيل إلَّا قريبه المباشر،
وإن عرفه فقلَّما يصِله!
لقد كانت الأجيال قبلنا أكثر صِلة للأرحام منَّا!
التقيتُ برجلٍ كبيرٍ في السِّن في المسجد، فسألني عن اسمي،
ومن أيَّة مدينةٍ أنا في فلسطين،
فلمَّا أجبته، قال لي: أنتم أخوالي!
قلتُ له: كيف نحن أخوالكم؟!
فقال لي: عمِّي تزوَّج قبل النكبة امرأةً من قريتكم!
تخَيَّلوا، القرية كلُّها أخوالُه، لأنَّ عمَّه تزوَّج امرأةً منها!

86

لقد ذمَمْتَ شيخَك!

في كتاب البيان والتّبيين للجاحظ:

قيل لأمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه:

فلانٌ لا يعرِفُ الشَّرَّ!

فقال: ذلكَ أجدر أن يقع فيه!

يا صاحبي: ليست السَّذاجة من الدِّين في شيءٍ!

وهذا الدِّين لا يقومُ إلَّا على أيدي الذين يعرفون الدُّنيا جيِّداً!

سنن اللّه تعالى في الكون لا تُحابي أحداً!

حدَّثني مرةً صديقٌ لي يمدحُ شيخاً يعرفه،

فقَال لي: تخيَّلْ أنَّه من زُهده لا يعرِفُ النُّقود من بعضها!

فقلتُ له: هذا لا يجوز له أن يُفتي للنَّاسِ!

كيف يُفتي في مسائل الدُّنيا وهو لا يعيش فيها؟!

وكيف يُقدِّر ظروف الفتوى وهو خارج حياة النَّاس؟!

وكيف يُفتي في الرِّبا، والعُقود، والأسهم؟!

يا صاحبي: لقد ذمَمْتَ شيخكَ من حيث أردتَ أن تمدحه!

87
السِّمانُ أظرفُ النَّاس!

في كتاب مناقب عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه لابن الجوزيِّ:
رأى عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه رجلاً عظيمَ البطن،
فقال له: ما هذا؟
فقال: بركة من اللّه،
فقال له: بل عذابٌ من اللّه!
يا صاحبي: الوزن الزائد يُنغِّصُ العيش!
فلا هو مستساغٌ في الشَّكل، ولا هو مستساغٌ في المضمون،
إذ أنَّه يُعيق صاحبه عن كثير من مهام الحياة أن تُؤدى بكفاءة!
والحقُّ يُقال أنَّ ليس كلُّ السُّمنة مرجعها إلى كثرة الطعام!
والحقُّ يُقال أيضاً إنِّي ما وجدتُ سميناً إلَّا كان خفيف دم!
وكنت أَستحي أن أقولها، حتَّى قرأتُ الذكريات لعًلي الطَّنطاوي رحمه اللّه،
فإذا به يقول: والسِّمان عادةً يكونون خفاف الرُّوح من أظرف النَّاس،
كأنَّ الذي زاد في شحمهم ولحمهم خفَّفَ من دمهم!

88
لا تُشهِرْ سيفكَ حيث فتحتَ قلبكَ!

في كتاب مناقب عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه لابن الجوزيِّ:
قال أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه:
إذا رزقكَ اللّه مودَّة امرئ مسلم، فتشبَّثْ بها ما استطعتَ!
يا صاحبي: لا تُشْهِرْ سيفكَ حيثُ فتحتَ قلبكَ!
ولا تُعادِ أهلَ ودِّكَ وإن انقضى،
ثمَّة أشخاصٌ من المسموحِ أن لا يعودوا أحباباً،
ولكن من العار أن يُصبِحوا أعداءً!
كان محمد بن واسع إذا باع شاةً يوصي بها المُشتري،
ويقول: أحسِنْ إليها فقد كان لنا معها صُحبة!
يا صاحبي: الحُرُّ من راعى وِدَادَ لحظة!

89
لا نجاةَ من ألسُنِ النَّاس!

في كتاب كنز العمَّال لعلاء الدِّين الهنديِّ:
قال أميرُ المؤمنين عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه:
ما ظهرتْ نعمةٌ إلَّا وجدتْ لها حاسداً،
ولو أنَّ امرأً كان أقومَ من قدحٍ لوجدتَ له غامزاً!
يا صاحبي: لا نجاةَ من ألسُنِ النَّاس!
مهما بلغتَ من الصَّلاح فلن تبلغ ذرَّةً ممَّا بلغَهُ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم،
وقد قالوا عنه: كَذَّاب، وساحر، ومجنون!
في حلية الأولياء للأصبهانيِّ:
قال موسى عليه السلام لربِّه: أسألُك ألَّا يذكرني النَّاس بسوءٍ،
فقال له الله سبحانه وتعالى: ذلك شيءٌ لم أجعلْه لنفسي، أفأجعلُه لكَ؟!

90

الجزاءُ من جنسِ العمل!

في كتاب الأدب المفرد للإمام البخاريِّ:
قال أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:
لا يُرحَم من لا يَرحَم، ولا يُغفَر لمن لا يَغفِر،
ولا يُتاب على من لا يَتوب، ولا يُوَقَّ من لم يُوَقِّ!
يا صاحبي: الجزاءُ من جنس العمل!
الخيرُ بالخير، والشَّرُّ بالشَّرِّ، وكلُّ ساقٍ سيُسقى ما سقى!
الأيدي التي باعتْ يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ بثمنٍ بخس،
هي الأيدي التي امتدتْ إليه لاحقاً تسألُه الصَّدقة!
وسارة التي لم تَكُن تُنْجِب،
من فرطِ نُبلها أبتْ أن تحرِمَ إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ من الولد،
فوهبته هاجِر، وأتى منها إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ،
فأصلح اللّه سارة بعد أن كانت عجوزاً عقيماً،
وأتى منها إسحاق عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولا أحدَ أوفى من اللّه!

91
اللُّغة التي أذهلتِ الجِنَّ!

في الطَّبقات لابن سعد، والأدب المفرد للبخاريِّ:
مرَّ عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه برجلين يرميان،
فقال أحدهما للآخر: أسَبْت، يُريد أصبتَ!
فقال عمر رضي الله عنه: سُوءِ اللَّحن أشدُّ من سُوء الرَّميِّ!
يا صاحبي: إذا اندثرتْ لُغةٌ اندثرَ أهلها!
في المؤتمر الصُّهيونيِّ الأول شدَّد هرتزل على أهميَّة اللُّغة،
لقد أعادوا إحياء لغة ميتة لأنَّه لا قيام لأمَّة دون لُغة!
فلا تقبل أنتَ أن تنبذَ لغتكَ وهي أكثر لُغة حيَّة في العالم!
منحها القرآن قداسةً، فحوَّلها من لُغة للتَّواصل إلى لغةٍ للعبادة!
لا تخجل من لُغة تكلَّم بها اللّٰه، وحملها جبريل عليه السلام،
وصبَّها صبًّا في قلب النَّبيِّ ﷺ!
﴿قُل أوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ استَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الجِنِّ فَقالوا إِنّا سَمِعنا قُرآنًا عَجَبًا﴾!
يا صاحبي: هذه اللُّغة أذهلتِ الجِنَّ!

92

بناءُ سُمعةِ الإنسان يحتاجُ عمراً كاملاً!

في المُصنَّفِ لعبد الرَّزَّاق، والسُّنن للبيهقيِّ:
قال أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ لقبيصة بن جابر:
إنَّكَ رجلٌ حَدثُ السِّنِّ، فصيح اللِّسان، فسيحُ الصَّدر،
وإنَّه يكون في الرَّجل عشرةُ أخلاقٍ حسنة وخُلقٌ سيِّء،
فيغلبُ الخُلق السَّيِّء التسعة أخلاقٍ الحسنة، فاتقِ عثرات الأشياء!
يا صاحبي: بناء الإنسان لسمعته يحتاجُ عمراً كاملاً،
أمَّا هدمُها فلا يحتاجُ إلى أكثر من لحظة!
مهما كنتَ نقيًّا فحاذرْ على نقائك،
إنَّ الثَّوب الأبيض إذا أصابته بقعةٌ سوداء بحجم أُنملة إصبع،
جعلت النَّاس لا يرون في الثَّوب غيرها!
السُّمعة لا تُكسَب مرَّةً في العمر، عليكَ أن تقاتل لأجلها كلَّ يومٍ!

93

ما تعرِفُه!

في كتاب الصَّمت لابن أبي الدُّنيا:

سمع عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه رجلاً يُثني على رجلٍ،

فقال له: أسافرت معه؟

قال: لا!

فقال له: أخالَطتَه؟

قال: لا!

فقال له عمر رضي الله عنه: واللّٰه الذي لا إله غيره ما تعرفه!

يا صاحبي: في النُّفوس خبايا لا تُكتشفُ إلَّا بالمعاشرة!

صحيح أنَّنا أُمِرنا أن نحكمَ على النَّاسِ بالظَّاهر،

ولكنَّ بعض النَّاس يتركون أخلاقهم في المسجد حيث رأيتهم يُصلُّون!

إنَّ المسلمَ الحقيقي هو الذي تتركُ العبادات في أخلاقه أثراً،

وتذَكَّر دائماً عباداتك لنفسك، أمَّا أخلاقُك للنَّاس!

94

هذه الدُّنيا كُؤوسٌ دائرة!

في كتاب مناقب عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه لابن الجوزيِّ:

قال أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه:

من حفظَ لسانه ستر اللّه عورته!

يا صاحبي: الجزاء من جنس العمل!

وهذه الدُّنيا كؤوس دائرة، وكلُّ امرئٍ سيشربُ مما سقى!

من هتكَ سِتر النَّاس، هتكَ اللّه سِتره،

ومن تتبَّع عورات النَّاس، تتبَّع اللّه عورته!

ومن قال في النَّاس ما ليس فيهم سخَّرَ اللّهُ من يقولُ ما ليس فيه،

ما دام الذَنبُ بينك وبين اللّه، فاللّه رحيم،

أمَّا ما دام الذَّنب بينك وبين النَّاس، فاللّه عادل!





95

الأسرارُ بنادِق!

في كتاب الصَّمتِ لابن أبي الدُّنيا، وكنزِ العمَّال للهِنديِّ:
قال أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه:
من كَتمَ سِرّه كانت الخيرة في يده!
يا صاحبي: قالت العربُ: السِّرُّ إذا جاوز الاثنين شاع!
وإذا ضاقَ صدرُكَ على سِرِّكَ، فصُدور النَّاس أضيق!
وما دام سِرُّكَ عندكَ فقد ملكته،
حتَّى إذا ما صار عند النَّاس فقد ملكك!
لا تكنْ مشاعاً، واترُكْ لنفسك شيئاً منك!
يا صاحبي: الأسرار بنادق، نستودعها عند الآخرين،
ليصطادونا بها عندما نصبح بنظرهم طرائد!

96
يأتي به اللّٰه إذا شاءَ!

في الطَّبقات لابن سعد:
سمعتْ حفصة بنت عمر رضي الله عنه أباها يدعو فيقول:
اللهمَّ قتلاً في سبيلك، ووفاةً في بلدِ نبيِّك!
فقالتْ له: وأنَّى يكون ذلك؟
فقال: يأتي به اللّٰه إذا شاء!
يا صاحبي: من صدق اللّٰه، صَدقه اللّٰهُ!
بحساب الأسباب تبدو دعوة عمر رضي الله عنه مستحيلة!
فالشَّهادة تكون قتلاً في المعارك، وهو الخليفة في المدينة!
وهي التي تُهاجِمُ ولا تُهاجَمُ، منها تخرجُ جيوش الفاتحين!
ولكنَّ اللّٰه نظر في قلب عمر رضي الله عنه فرأى صدقه،
فطعنه الملعون ابن مُلجم في صلاة الفجر وهو يَؤُمُّ النَّاس،
عمر حبسته الخلافة في المدينة فما كان بإمكانه أن يكون شهيد المعركة،
ولكنَّه بصدقِ نيَّته، وطهارة قلبه، كان شهيد المحراب!

97
الإنسان ممتحَنٌ بما أُعطي، وما مُنِع!

في معجم تهذيب اللُّغة للأزهريِّ:
لما حُملتْ كنوز كسرى إلى عمر بن الخطَّاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ،
قال: اللهمَّ إنِّي أعوذ بكَ أن أَكون مُستدرَجاً،
فإنِّي أسمعك تقول: ﴿سَنَستَدرِجُهُم مِن حَيثُ لا يَعلَمونَ﴾!
يا صاحبي: الإنسان في هذه الدُّنيا مُمتحَن!
ممتحنٌ بما أُعطيَ، وممتَحَنٌ بما مُنِعَ!
ولكن إذا أردت أن تعرف إن كانت النِّعم استدراجاً أم لا،
فانظُرْ إلى حالك مع هذه النِّعم!
إذا قَرَّبتكَ إلى الله فأنتَ قد أعطيتَ الجائزة،
وإذا أبعدتك من الله فأنت مستدرَج!

98

إنَّ للمناصبِ أهلها!

في معجم تهذيب اللُّغة للأزهريِّ:

قال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه لعمر بن الخطَّاب رضي الله عنه:

إنَّك تستعين بالرَّجل الفاجر!

فقال له: إنِّي لأستعملُ الرَّجل القويَّ وغيره خير منه،

ولكنِّي أكون على قفَّانه/ مراقبته!

يا صاحبي: إنَّ للمناصب أهلها!

وعلى فضل الرَّجل وتقواه قد لا يصلح أن يكون صاحب منصب،

على صدقِ أبي ذرٍّ وإيمانه، أخبره النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم أن لا يتولَّى منصباً!

رجلُ الحرب، ليس بالضَّرورة هو رجلُ الدَّولة،

ألفُ معاويةٍ لا يُبلون في المعارك بَلاء خالد بن الوليد،

ولكنَّ دهاء معاوية في السِّياسة لا يستطيعه خالد!

99

الأُنوثة!

في معجم تهذيب اللُّغة للأزهريِّ:

قال أميرِ المؤمنين عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه:

رَحِمَ اللّه الهَلُوب!

والهلوب هي التي تُقرِّب زوجها وتُحِبُّه، وتتباعد عن غيره وتُقصيه!

يا صاحبي: أجمل صفات النِّساء في الدُّنيا هي ما ذكره القرآن عن الحور العين!

﴿حورٌ مَقصوراتٌ فِي الخِيام﴾: جنّة المرأة بيتها!

﴿وَعِندَهُم قاصِراتُ الطَّرفِ عينٌ﴾: غضُّ المرأة لبصرها هو أجمل مستحضر تجميل!

﴿عُرُباً أَتْرَاباً﴾: التحبُّبُ إلى الزَّوج تَحَقّقُ فيه الأنوثة!

وعلى سيرة الأنوثة، لخَّصتها عليَّة بنت المهدي بقولها:

نحن نساءٌ مع أزواجنا، رجالٌ مع غيرهم!

100

أتعبتَ من بعدكَ!

روى الإمام البخاريُّ في صحيحه:

فرض عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه للمهاجرين الأولين أربعة آلاف، وفرض لابنه عبد اللّه ثلاثة آلاف وخمسمئة،

فقيل له: هو من المهاجرين فلمَ نقصته من أربعة آلاف؟!

فقال: إنَّما هاجرَ به أبواه، ليس هو كمن هاجرَ بنفسه!

يا صاحبي: صدق الصَّحابة حين كان يقولون لعمر بن الخطَّاب رضي الله عنه:

أتعبت من بعدكَ يا أمير المؤمنين!

واللّهِ ما اشتدَّ حاكم في التَّاريخ على أهله اشتداد عمر على أهله،

حتَّى لتحسب أن بينه وبينهم عداوة، وما هو إلَّا الحُبُّ!

أراد أن يُسأل عنهم، وأراد أن لا يُسألوا هُم!

ما قَلَّد أحداً منهم منصباً أبداً، ولا أعطاه أكثر ما يعطي عوامَ النَّاس!

وحين تزلَّفَ إليه أحدهم قائلاً:

اجعل الأمر من بعدك لابنك عبد اللّه!

قال غاضباً: واللّه هذه نصيحةٌ ما أريد بها وجه اللّه!

101
أرادتْهُ الدُّنيا ولم يُرِدْها!

في كتابِ الزُّهد للإمام أحمد:
قالتْ حفصة رضي اللَّه عنها لأبيها عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه:
يا أمير المؤمنين، لو لبستَ ثوباً هو ألين من ثوبك،
وأكلتَ طعاماً هو أطيب من طعامك، فقد وسَّع اللّه عليك!
فقال لها: إني سأخصمكِ إلى نفسك،
أما تذكرين ما كان رسول اللّه صلى الله عليه وسلم يلقى من شدَّة العيش؟!
فما زال يُذَكِّرُها حتَّى أبكاها!
يا صاحبي: ليس في لين العيش حُرمة، ولكنَّه عمر رضي الله عنه!
تشْعُر وأنت تقرأ سيرته أنَّه طلَّقَ الدُّنيا طلاقاً بائناً!
لخَّص لك معاوية رضي الله عنه الحكاية كلَّها حين قال:
أمَّا أبو بكر فلم يُرد الدُّنيا ولم تُرده!
وأما عمر فأرادته الدَّنيا ولم يُرِدّها،
وأما نحن فتمرَّغنا فيها ظهراً لبطن، فاللّه أعلمُ إلى ما نصير!

102
كالقشَّة لا تستحقُّ!

في كتاب حلية الأولياء للأصبهانيِّ،
خطب أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ النَّاس،
وعليه إزار فيه ثنتا عشرة رقعة، وهو يومئذٍ خليفة:
يا صاحبي: الأصلُ أنَّ اللّه يُحبُّ أن يرى أثر نعمته على عبده،
وهذا المعنى لم يكن يجهله عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،
لم يُحرّم على أحدٍ طعاماً مباحاً أحلَّهُ اللّه،
ولم يُحرِّم على أحدٍ لباساً أحلَّه اللّه،
عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يدور مع الإسلام أينما دار!
كلُّ ما في الأمر أنَّه كان يعيش الآخرة في الدُّنيا
كانت كلُّ هذه الدُّنيا في عينيه كالقشَّة التي لا تستحقُّ أن يسعى لها!
قلتها أكثر من مرة:
لن تفهم عمر بن الخطَّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ما لم يكن لكَ قلبه!

103
القائد خادمٌ للنَّاس وليس سيّداً لهم!

في كتابِ حليةِ الأولياءِ للأصبهانيِّ:

قال أميرُ المؤمنين عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه:

لو ماتتْ شاةٌ على شطِّ الفرات ضائعة،

لظننتُ أنّ اللّه تعالى سائلي عنها يوم القيامة!

يا صاحبي: إنَّ المسؤولية تكليفٌ لا تشريف،

والقائد خادمٌ للنَّاس وليس سيّداً لهم!

وكُلُّ مسؤولٍ فهمَ هذا الأمرَ نجا بفضل اللّهِ.

ما منَّا من أحدٍ إلَّا سيقف بين يدي اللّه تعالى ويسأله عما استرعاه!

وكلُّ واحدٍ منَّا مسؤولٌ بشكلٍ أو بآخر، فكلُّنا أصحاب سلطة في مجال ما!

الأمُّ في بيتها مسؤولة، والأب في بيته مسؤول،

المعلِّمُ في صفِّه، والحِرَفيُّ في ورشته، والقاضي في محكمته،

لهذا قبل أن نُطالب بحقوقنا، علينا أن نسأل: هل قمنا بواجباتنا؟!

104
هذا هو سِرُّ الإيمان!

في كتاب حِلية الأولياء للأصبهانيَّ:
قال أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه:
لو نادى منادٍ من السَّماء: أيُّها النَّاس إنَّكم داخلون الجنَّة كُلُّكم،
إلَّا رجلاً واحداً، لخشيتُ أن أكون أنا!
ولو نادى مناد، أيُّها النَّاس إنَّكم داخلون النَّار ككلُّم،
إلَّا رجلاً واحداً، لرجوتُ أن أكون أنا!
يا صاحبي: كُنْ بين الخوفِ والرَّجاء!
اُنظُرُ في نفسِك نظرة اتِّهام، وخفْ من ذنبك،
واللّهِ ما منَّا من أحد إلَّا وله ذنوبٌ يخجل منها!
وأحسن الظَّنَّ باللّه كأنَّ كلَّ العملِ لا يفيد دون رحمته،
سدِّدْ وقارب، هذا هو سِرُّ الإيمان،
أن تخشى ذنبك كأنَّ الهلكةَ فيه،
وأن تُحسِن الرَّجاء باللّهِ كأنَّ لا نجاة إلَّا فيه!

105
ما الذي أسقطني من عينك؟!

في كتاب حِلية الأولياء للأصبهانيِّ:
دعا أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وهو على المنبر:
اللهمَّ اعصِمنا بحبلك، وثبِّتنا على أمرك!
يا صاحبي: واللهِ ما استقام أحدٌ إلَّا بتثبيتِ الله له!
وما زاغ أحدٌ إلَّا لأنَّ الله خلَّى بينه وبين معاصيه!
لا ثبات إلَّا بالله، ضع هذه الحقيقة نُصب عينيك،
حتَّى الأنبياء عليهم السَّلام ما كانوا ليثبتوا لولا تثبيت الله لهم!
قال اللهُ لنبيِّه ﷺ: ﴿وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾!
وقال يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وإلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وأَكُنْ مِنَ الجاهِلِينَ﴾!
كان أحد السَّلَفِ إذا أذنبَ يبكي ويقول:
ما الذي أسقطَنِي من عينِك يا مانِح العِصم!
لم يكن يفزعهم الذَّنب، بقدر ما كان يفزِعُهم أنْ هانوا على الله به!

106

زِنْ كلامكَ تزدان!

في كتاب روضة العقلاء لابن حِبَّان:

قال أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه:

ما ندمتُ على سكوتي مرَّةً، لكنني ندمتُ على الكلام مِرارًا!

يا صاحبي: ما دام الكلامُ في صدرِك فأنتَ مالكٌ له، فإذا أطلقتَه صرتَ له مملوكًا!

زِنْ كلامكَ تزدان، فإنَّ الملافظ سعدٌ،

واحذر لحظاتِ الغضب فإنَّ الكلام وقتها يخرجُ جارحًا،

وأن تندمَ على كلامٍ لأنَّك لم تقله، خيرٌ من أن تندمَ على كلام قلتَه،

نحن حين نأتي لنتصافحَ ونتصارحَ ونسوِّي مُشكلاتنا،

نكتشفُ أنَّ أهون شيءٍ في المشكلة هي المشكلة،

أمَّا أصعب شيءٍ فيها فهو الكلام الذي قلناه وسمعناه وقتها!

107
هذه الدُّنيا دارُ أسبابٍ!

في كتابِ إحياءِ علوم الدِّين للغزاليِّ:
قال أميرُ المؤمنين عمر بن الخطَّاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ:
لا يقعد أحدكم عن طلب الرِّزق ويقول: اللهمَّ ٱرزقني!
فقد علمتُم أنَّ السَّماءَ لا تمطرُ ذهباً ولا فضَّة!
يا صاحبي: هذه الدُّنيا دارُ أسباب!
وتـركُ الأخـذ بالأسـباب فيـه مـن الحُمـقِ أكثـر ممَّـا فيـه مـن الإيمـان!
أُمِرنـا أن نـأخـذَ بالأسـباب مـا اسـتطعنا، ولكـن لا نجعـل يقيننـا عليها،
ولو كان الإيمان باللَّه يعني ترك الأخذ بالأسباب،
ما اصطحبَ النَّبيُّ ﷺ دليلاً يوم الهجرة!
ولَمَا لبسَ درعين يوم أُحد!
ولَمَا كان يُورِّي في غزواته حتَّى يباغت العدوَّ!
كان أعلى النَّاس إيماناً، وأكثرهم أخذاً بالأسباب!

108

لا إفراطَ ولا تفريطَ!

في كتابِ التَّوكلِ لابن أبي الدُّنيا، وجامع العلوم لابن رجب:
لقيَ أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه حُجاجاً بغير زادٍ،
فقال: من أنتم؟
قالوا: نحن المتوكِّلون.
قال: بل أنتم المتَّكلون، إنَّما المتوكِّل الذي يُلقي حبَّة في الأرض ويتوكَّل على اللّٰه!
يا صاحبي: مرضُ هذا العصر هو الإفراط والتَّفريط،
فالإفراط بالتَّعلق بالأسباب أنتج لنا الماديَّة التي قتلت الرُّوح!
والتَّفريط بالأخذ بالأسباب أنتج لنا السّذاجة والدَّروشة!
أبو بكرٍ رضي الله عنه وعثمان رضي الله عنه كانا مؤمنين، ولكنَّهما كانا تُجَّاراً أيضاً!
وخالد بن الوليد رضي الله عنه كان مؤمناً، ولكنَّه كان يضع للحرب خُطَّة!
والأنصار كانوا مؤمنين، ولكنَّهم كان لديهم حقولٌ ومزارع،
خُذْ بالأسباب كأنَّها كلُّ شيء، وتوكل على اللّٰه كأنَّ الأسباب لا شيء!

109

نيرانٌ صديقة!

رأى أميرُ المؤمنين عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه رجلاً يدُه مشلولة، فسأله عن سبب شللها،

فقال: شُلَّتْ بدعوةِ أبي عليَّ في الجاهليَّة!

فقال عمر: هذا دعاء الآباء في الجاهليَّة، فكيف في الإسلام؟!

يا صاحبي: لا تدعُ على أولادِكَ فإنَّك لا تعلمُ متى يلقى إجابةً،

وكم من ولدٍ أصابته دعوةٌ في لحظة غضبٍ فصار ضحيَّة نيرانٍ صديقة!

كان الزَّمخشريُّ مقطوعَ الرِّجل، فسُئلَ عن هذا،

فقال: قُطعتْ رِجلي بدعوةِ أمِّي عليَّ!

عندما كنتُ صغيراً، أخذتُ عصفوراً، وربطتُ رِجله بخيطٍ، وجذبتُه فانقطعت رِجله، فقالتْ أمِّي: قطع اللّهُ رِجلكَ!

فلَّما كَبرتُ، وذهبتُ إلى بُخارى لطلب العلم، وقعتُ عن الدَّابة،

ووقصتني في رِجلي، فذهبتُ إلى الطَّبيب، فقال: لا بُدَّ أن تُقطع!

110

هذه دارُ الأحلامِ المدفونة!

في كتاب مدارج السَّالكين لابنِ القيِّم:

كتبَ أميرُ المؤمنين عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه لأبي موسى:

إنَّ الخيرَ كلُّه في الرِّضى، فإنْ استطعتَ أن ترضى، وإلَّا فاصبرْ!

يا صاحبي: هذه دارُ الأحلامِ المَدفونة، والأمنياتِ المقتولة!

ومن رضيَ فله الرِّضى، ومن سخِط فعليه السّخط!

ستكملُ طريقكَ لأنَّكَ مجبرٌ على ألا تبقى عالقاً!

ستتجاوز ليس لأنَّك تريد، وإنَّما لأنَّكَ مضطَّر!

ستبقى واقفاً وإن كانت روحك جاثية على ركبتيها،

فأنتَ لا تملكُ رفاهية الانحناء!

ستهدأ لأنَّه لا يمكنك أن تحمل بركاناً في قلبك طول العمر،

سترضى، لأنَّ الرِّضى وحده يُعينُ على العبور،

هو ربٌّ يفعلُ ما يشاء، أمَّا أنتَ عبدٌ، فتأدِّبْ!

111
مهمَّة المؤمن أن يكون فارسَ نفسِه لا مطيَّتها!

في كتاب مناقب عمر بن الخطَّاب لابن الجوزيِّ:
قال أميرُ المؤمنين عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه:
العاجزُ من عجز عن سياسة نفسه!
يا صاحبي: هذه النَّفسُ فرسٌ جموح!
من قيَّدها بالتَّقوى انصاعتْ له، ومن أفلتها أهلكتْهُ!
وإن مهمَّة المؤمن المقدَّسة في هذه الحياة هي ترويض نفسه!
أن يحملها على الحقِّ حملاً كمن يسير وهو ينزف،
وأن يبعدها عن مواطن الحرام ولو في بعدها تمزُّق القلب!
المؤمن في حَلبة نِزال بينه وبين نفسه، يهزمها وتهزمه،
وما فاته اليوم عوَّضه غداً، وما أدركه اليوم بنى عليه،
المهمُّ أن يبقى هو فارسُ نفسِه لا مطيَّتها!

112

لا شيء يُسقِط الأقنعة كالغضب!

في كتاب مناقب عمر بن الخطَّاب لابن الجوزيِّ،
قال أميرُ المؤمنين عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه:
لا تعتمد على خُلق رجلٍ حتَّى تجرِّبه عند الغضب:
يا صاحبي: لا شيءَ يكشف مكنونات القلوب كالغضب!
إنّه يزيلُ تلك القشرة التي يُريها صاحبها للنَّاس،
ويُسقِط ذاك القناع الذي نحسبه وجهاً!
في لحظات الغضب ستسمع ما لم تتوقَّع أن تسمعه،
وسترى آخر ما كنت تعتقد أن تراه!
فمن غاضبتَه فلم يفجُرْ ولم يُؤذِ فاتخذه صاحباً فهو مؤمن!
إنَّ المؤمنَ مأمونُ الجانب، تخالطه وأنتَ آمن، وتفارقه وأنتَ آمن!

113
من حيث كنتَ تَأكل وأنتَ في بطن أمِّك!

في كتاب مجمع الأمثال للميدانيِّ، والمستطرف للأبشيهيِّ:
قال أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:
أكثروا من العيال فإنَّكم لا تدرون بمن تُرزقون!
يا صاحبي: إنَّ الإنسان عاجزٌ عن أن يرزق نفسه،
لهذا هو من باب أولى أكثر عجزاً عن أن يرزق غيره!
مفهوم جداً أن يُنظِّم الزوجين فترات الحمل،
مفهوم جداً أن يُعطى كلُّ ولدٍ حظَّه من الحبِّ والوقت،
لكنَّ التَّوقف عن الإنجاب بسبب الرِّزقِ فقط،
فكرة غثيثَةٌ تحملُ في طيَّاتها الكثير من سوء الظَّنِّ باللّهِ،
أذكرُ أنِّي ناقشْتُ هذه الفكرة في محاضرةٍ لي،
فسألني أحدهم معترضاً: من أين أطعمهم؟
قلتُ له: من حيثُ كنتَ تأكلُ وأنتَ في بطنِ أمِّك!

114

الصَّدقة وحدها في كفَّة!

في كتاب صحيح ابن خُزيمة،

قال أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه:

إنَّ الأعمال تَباهتْ، فقالت الصَّدقة: أنا أفضلكُنَّ!

يا صاحبي: أمران لا يخضعان لقوانين البشر،

الصَّدقةُ: تزيدُ المالَ مع أنَّها تُنقِصُه!

الرِّبا: يمحَقُ المالَ مع أنَّه يُضاعفه!

يا صاحبي: من أجمل ما قيل في الصدقة:

إنَّك لن تستطيع أن تأخذ أموالك معكَ إلى الآخرة،

ولكنَّكَ تستطيع أن تجعلها تنتظرك هناك!

وما تحسَّر أهل الآخرة على شيءٍ من الدُّنيا كحسرتِهم على فوات الصَّدقة،

ذاك أنَّهم لما كُشِفتْ لهم حُجُب الغيب علِموا مقدارها

واقرأ قول ربِّك:

﴿رَبِّ لَولا أَخَّرتَني إِلى أَجَلٍ قَريبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِنَ الصّالِحينَ﴾

جعل الصَّدقة وحدها في كفَّة، وبقية أعمال الصَّالحين في كفَّة!

115

في قلب المؤمن جهازُ إنذار!

في كتابِ الاستذكارِ لابن عبد البرِّ:

قال أميرُ المؤمنين عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه:

اتَّقُوا من تبغضه قلوبكم!

يا صاحبي: المؤمنُ يرى بنور اللّهِ!

أمِّي، حفظها اللّه، آخر عهدها بالمدارس الصَّف السَّادس الابتدائيِّ!

واللّهِ ما حذَّرتني من إنسانٍ إلَّا دارت الأيَّام ورأيتُ شرَّه،

وما أوصتني بأن ألزم إنساناً إلَّا دارت الأيَّام ورأيتُ خيره!

كأنَّ اللّه يُلقي في قلب المومن جهاز إنذار!

وأنَّ صوتاً يقول له: هذا الإنسان لا يناسبك،

هذه الوظيفة شرٌّ، وهذه الفرصة فخٌّ، وهذه الطَّريق مهلكة،

هذه كلُّها رسائل من اللّه فلا تتجاهلها!

116

فاحفظْ ماضيَ النَّاس!

في كتابِ مناقبِ عمر بن الخطَّاب لابن الجوزيِّ،
قال أميرُ المؤمنين عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه:
لكلِّ صارم نَبْوة، ولكلِّ جوادٍ كبوة، ولكلِّ عالم هفوة!
يا صاحبيَّ: النَّاسُ لا يمكنهم أن يكونوا ملائكةً على الدَّوام،
ولا بُدَّ للنَّبيل أن يخونه نبله ولو مرَّة!
يحدث أن تتعثَّر الفرس الأصيلة مرَّةً!
والحليم قد يضيقُ صدره ويغضب،
والشُّجاع قد يخاف أحياناً، وقد أوجس في نفسه خيفةً موسى،
فاحفظ ماضيَ النَّاس المشرق ولا تمحه عند أول زلَّة،
ويعجبني قول عليِّ بن الجهم في هذا الباب:
ومن ذا الذي تُرضى سجاياهُ كلُّها
كفى المرءُ نُبلاً أن تُعدَّ معايبه

117

أبيعُ الخَلَّ بلسانٍ من عسل!

في كتابِ مناقبِ عمر بن الخطَّاب لابن الجوزيِّ،
قال أميرُ المؤمنين عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه: لا مالَ لمن لا رِفقَ له!
يا صاحبي: ما المرء إلَّا أُسلوب!
ومن لانَ طبعه، ورقَّ كلامه، باركَ اللّهُ لهِ وعليه،
ومن قسا طبعه، وغلظ كلامه، مَحقَ اللّهُ بركةَ كثيره!
الصِّينيُّون عندهم مثلٌ شعبيٌّ جميلٌ يقول:
إذا كنتَ عاجزاً عن الابتسام فلا تفتح دُكَّاناً!
وعندنا نحن العرب، أنَّ بائع العسل، سألَ بائعَ الخلِّ:
لِم يُقبلُ النَّاسُ عليكَ ويهجروني وأنا أبيعُ العسلَ وأنت تبيعُ الخلَّ!
فقال: لأنِّي أبيعُ الخلَّ بلسانٍ من عسل،
وأنت تبيع العسلَ بلسانٍ من خلٍّ!

118

لا تُصارِع الخِنزير في الوَحل!

في كتاب مناقب عمر بن الخطَّاب لابن الجوزيِّ:

قالَ أميرُ المؤمنين عمر بن الخطَّاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

إذا سمعتَ الكلمة تُؤذيك، فطأطِئ لها حتَّى تتخطاك!

يا صاحبي: تسعة أعشار العقل في التغافل!

فلا تقف عند كلِّ كلمة، ولا تنجرّ وراء كلِّ ردٍّ،

لستَ مجبراً أن تخوضَ كلَّ نزالٍ تُدعى إليه!

المعارك التافهة تستنزِفك، فوفِّر طاقتك لما هو أجدى!

ثمَّة معارك الهزيمة فيها مُرَّة جداً، والنَّصرُ فيها تافه!

الإنكليز عندهم مثلٌ شعبيٌّ جميلٌ يقول:

لا تُصارع الخِنزير في الوحل، أنت ستتَّسِخ، وهو سيستمتع!

119

من لا يعرف الحرام يقع فيه!

في صحيح سُنن التَّرمذيِّ،
قال أميرُ المؤمنين عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه:
لا يَبِعْ في سُوقِنا إلَّا من تفقَّه في الدِّين!
يا صاحبي: من لا يعرف الحرام يقع فيه!
في كُلِّ خُطوةٍ تخطوها تعلَّمْ ما لكَ وما عليكَ!
إنَّ الذي يعرف حقوقه لا يأخذ ما ليس له،
ومن يعرف واجباته لا يتعدَّى حدوده،
وإذا وقعَ لكَ ما لا تعرف حُكمه، فلا تفعله حتَّى تعرف،
من مآسي النَّاس في هذا العصر،
أنَّهم يفعلون الأمر ثمَّ يأتون يستفتون عن الحكم،
يا صاحبي: الكثير من الحلال والحرام في البيوع بينهما شعرة!

120

ولكنَّها القلوبُ يا عليُّ!

في كتاب الرِّياض النَّضِرة للطَّبريِّ، ونزهة المجالس للصفوريِّ:

قال عمر بن الخطَّاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لعليِّ بن أبي طالبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

ولكنَّها القلوبُ يا عليُّ إذا صفتْ رأتْ!

يا صاحبي: المسألة لم تكن يوماً مسألة عقولٍ بل مسألة قلوب!

الصَّحابة في الجاهلية لم تكن تنقصهم العقول، وإنَّما الهداية!

عقل عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في الجاهلية، هو عقله في الإسلام، ولكن القلب غير القلب!

عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في الجاهلية نكَّل بمن أسلم من بني عديٍّ،

وآذاهم أذىً شديداً دون أن يرفَّ له جفن،

وعندما أسلم صار يخاف أن يسأله اللّٰه على دابةٍ تتعثَّر عند شاطئ الفرات!

يا صاحبي: إنَّما المرء بقلبه!

121

لستُ بالخِبِّ ولا الخِبُّ يخدعُني!

فـي مجمـوع الفتـاوى لابـن تيميـة، وإعـلام الموقِّعيـن لابـن القيِّـم:

قال أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه:

لستُ بالخِبِّ ولا الخِبُّ يخدعُني!

يـا صاحبـي: كُـن كمـا يقتضـي الموقـف أن تكـون لا أقـل ولا أكثـر!

ضع القلبَ موضعه، والعقلَ موضعه،

لا تقُلْ لا في موضع نعم، ولا نعم في موضع لا.

ولا تضعْ فاصلةً حيثُ يجب أن تضع نقطة!

ولا تُغلق الباب نهائياً إن كان من الحكمة أن تتركه مواربا!

كُنْ طيباً دون سذاجة، وحازماً دون ظلم،

الطيِّب السَّاذِج يُستهان به، والحازم العادل يُحترم!

122
دارُ زراعةٍ لا دار حصاد!

في كتاب حلية الأولياء للأصبهانيِّ:

قال أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه:

ويلٌ لمن كانت الدُّنيا همَّه، والخطايا عمله،

كيف يقدُمُ غداً، بقدر ما تحرثون تحصدون!

يا صاحبي: هذه الدُّنيا دار عملٍ لا دار جزاء!

دار زراعةٍ لا دار حصاد!

فاعملِ الآن حتَّى إذا جاء يوم الجزاء أخذت أُجرتك!

واعمل الآن حتَّى إذا جاء يوم الحصاد أخذت غلالك!

لا تكن كالصِّرصار الذي كان يغنِّي في الصَّيف والنَّملة تعمل،

فلمَّا حان الشِّتاء لم يجد حبَّة فجاء طارقاً باب النَّملة،

فقالت له: اذهبْ وغنِّ كما كنتَ تُغنِّي في الصَّيف!

123
الأدبُ يُرهِّفُ الحِسَّ ويفتح العقل!

في كتاب الفوائد لأبي عثمان البحيريِّ:
قال أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه:
تعلَّموا الشِّعر، فإنَّ فيه محاسن تُبتغى، ومساوئ تُتَّقى،
وحكمة الحكماء، ويدلُّ على مكارم الأخلاق!
يا صاحبي: الأدبُّ يرهِّفُ الحِسَّ، ويفتِّح العقل!
ينشرُ أحدهم قلبه بين يديك، ويضع عصارة عمره وتجاربه أمامكَ!
فإذا قرأتَ الأدب اكتسبتَ رِقَّةً،
وإذا قرأتَ التَّاريخ اكتسبتَ عِبرة،
وإذا قراتَ التَّراجم والسِّيَر اكتسبتَ حكمة،
وإذا قرأت القرآن اكتسبتَ رقَّةً، وعبرةً، وحكمة!

124

من لا خيرَ فيه لأهله لا خيرَ فيه للنَّاس!

في كتاب محضِ الصَّواب في فضائل عمر بن الخطَّاب لابن المبرِّد:

دخل عاملٌ لأمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فوجده مُستلقِياً، وصِبيانه يلعبون على بطنه، فتعجَّب من ذلك!

فقال له عمر: كيف أنت مع أهلك؟

قال: إذا دخلتُ سكتَ النَّاطق!

فقال له عمر: اِعتزِلْ، فإنَّك لا ترفق بأهلك، فكيف بأمَّة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟!

يا صاحبي: من لا خيرَ فيه لأهله لا خيرَ فيه للنَّاس!

ومن لا يرِقُّ على لحمه ودمه فلن يرِقَّ على الغريب،

ومن لا يحسنُ لمن شاركه عمره لن يحسنَ لعابرِ الطَّريق،

لا تخافي من الارتباط بالابن البار، خافي من العاق،

ولا تخفْ ممَّن تحفظُ معروف أهلها، خفْ ممَّن تُنكِره!

125
جَلَدَ الفاجر، وعجزَ الثِّقَة!

في كتاب مناقب عمر بن الخطَّاب لابن الجوزيِّ:
قال أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه:
اللهمَّ أشكو إليكَ جَلَدَ الفاجر، وعجزَ الثِّقَة!
يا صاحبي: ليست المشكلة في اجتماع أهل الباطل على باطلهم،
وإنمَّا في تفرُّقِ أهل الحقِّ عن حقِّهم!
المشكلة ليست في أنَّ الفاجر يبذلُ لفجوره كلَّ قوَّتِه،
وإنَّما في أنَّ التَّقِيَّ لا يبذلُ لتقواه كلَّ قُوَّتِه!
الباطلُ إذا اجتمع غلبَ الحقَّ إذا تفرَّق!
وأهلُ الباطل إذا بذلوا غلبوا أهل الحقِّ إذا جبنوا!
فرعون كان يعرفُ جيِّداً أنَّ الاجتماع قوَّة ولو على الباطل،
لهذا قال لقومه: ﴿فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا﴾!

126

سلِ اللّٰه البركةَ لا الكميَّة!

في مصنَّفِ ابن أبي شيبة:

قال أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه:

إنَّ الدُّنيـا حُلـوةَ خضِـرَة، فمـن أخذهـا بحقِّهـا كان أجـدر أن يُبـارك لـه فيهـا،

ومن أخذها بغير حقِّها كان كالأكل الذي لا يُشبع!

يـا صاحبـي: نحـن أمَّـة لا تُراهِـن علـى الكميَّـة وإنَّمـا علـى البركـة!

كلُّ كثيرٍ نُزعت منه البركة لا يُشبِع!

وكلُّ قليلٍ وُضِعتْ فيه البركة يكفي ويزيد!

فسَلِ اللَّه أن يُبارك بما أعطاكَ قبل أن تسأله زيادته!

فما حلَّتِ البرَكة في شيءٍ إلَّا زادته وزيَّنته وجمَّلته،

إذا حلت البركة تُعان رغم أن مسؤولياتك كبيرة،

وتكون مطمئناً رغم أنَّ العالم حولك مضطَّرب،

وتُنجز رغم أن وقتك ضيِّق!

127

النّاسُ على دين ملوكهم!

في مصنَّف ابن أبي شيبة:

كتب أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه،

إلى أبي موسى رضي الله عنه وكان عامله على البصرة:

إِيَّاكَ أن ترتعَ فترتَعَ عُمّالُكَ!

يا صاحبي: قالت العرب في مثلها السَّائر: النَّاسُ على دين ملوكهم!

في كتاب سِراج الملوك للطرطوشيِّ:

كان النَّاس زمن الحجَّاج يتساءلون: من قتِل، ومن صُلِبَ، ومن جُلِد!

وكان الوليد بن عبد الملك صاحب ضياعٍ ومصانع،

وكان النَّاس يتساءلون في زمانه عنً البنيان والضِّياع وغرس الأشجار!

وكان سليمان بن عبد الملك صاحب نكاح وطعام،

فكان النَّاس يتحدَّثون عن الأطعمة، ويتوسَّعون في الأنكحة والسَّراري!

ولما وليَ عمر بن عبد العزيز كان النَّاس يتساءلون:

كم تحفظ من القرآن؟ وكم وردك كلَّ ليلة، وكم تصوم؟!

128
كم مرّة قرأتَ القرآن؟!

في مصنَّف ابن أبي شيبة:
كان أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه يمُّر بالآية من القرآن،
فتخنقه العَبرة، فيبكي حتَّى يسقط،
ثمَّ يلزم بيته فيُعاد، يحسبونه مريضاً!
يا صاحبي: كم مرَّةً قرأتَ القرآن فشعرتَ أنَّه أُنزلَ فيكَ؟!
هل قرأتَ آيةَ الموت ففهمتها رسالة: يا فلان استعِدَّ!
هل قرأت آيةَ الصَّدقة ففهمتها رسالة: يا فلان تصدَّقْ؟!
هل قرأتَ آيةَ صلة الرَّحم فقرأتها رسالة: يا فلان لا تقطعْ رحمك؟!
هل قرأتَ آيةَ العذاب ففهمتها رسالة: يا فلان اشفِقْ على نفسك؟!
يا صاحبي: نحن المعنيُّون بالخطاب لا غيرنا!

129

ابدأْ بنفسك!

في مصنَّف ابن أبي شيبة:

قال أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه وهو على المنبر:

حاسِبُوا أنفسكم قبل أن تُحاسبوا، وزِنوا أنفسَكم قبل أن تُوزَنوا،

وتزيَّنوا للعرض الأكبر، يوم تُعرضون لا تخفى منكم خافية!

يا صاحبي: ابدأْ بنفسك فحاسبها قبل أن تُحاسب النَّاس!

كُن لوالديك الابن الذي تريده لنفسك!

وكُن لزوجتك الزَّوج الذي تريده لابنتك!

وكُن لجاركَ الجار الذي تريده لكَ!

قبل أن تطلب صديقاً جيِّداً كُن أنتَ صديقاً جيِّداً!

وقبل أن تطلب معاملةً محترمةً كُن أنتَ محترماً!

أعطِ النَّاسَ ما تُحِبُّ أن تأخُذ منهم!

130

عُدْ إِلى اللّٰه ولو أذنبتَ ألفَ مَرَّةَ!

في مصنَّفِ ابن أبي شيبة:

سُئِلَ أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه عن التَّوبة النَّصوح،

فقال: التَّوبة النَّصوح أن يتوب العبد من العمل السيِّء، ثمَّ لا يعود إليه أبداً!

يا صاحبي: عُدْ إلى اللّٰه ولو أذنبتَ ألفَ مرَّة!

وإن عجزتَ على ترك الذَّنب إيَّاك أن تترك الاستغفار والتَّوبة!

في القرآن: ﴿هذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظ﴾،

والأوَّاب هو كثير التَّوبة إلى اللّٰه!

ومن البديهيِّ ما كان كثير التَّوبة إلَّا لأنَّه كثير الذَّنب!

اجعل كُلَّ توبة لكَ توبةً نصوحاً،

وإن فشلتَ فجدِّدْ التَّوبة!

وإن تعثَّرت فأعد الوقوف،

اللّٰه لم يُطالبكَ بالعِصمة من الذَّنب، وإنَّما طالبكَ بالتَّوبة من الذَّنب!

131
إنِّي نَهيتُ النَّاس!

في كتاب التَّاريخ الإسلاميِّ لمحمود شاكر:
كان أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه إذا نهى عن أمرٍ، جمَعَ أهله، وقال: إنِّي نهيتُ النَّاس عن كذا وَكذا،
وإنَّ النَّاس ينظرون إليكم نظر الطَّير إلى اللَّحم،
وأقسِمُ باللّه لا أجد أحداً منكم فعله إلا ضاعفتُ له العقوبة!

يا صاحبي: لا تنجح فكرة نظريَّتُها في وادٍ وتطبيقها في وادٍ!
ولا يتبنَّى النَّاس أفكار أهل الدَّعوات إلَّا إذا هم التزموا بها!

يقول المستشرق توماس آرنولد عن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم:
من عوامل نجاح دعوته أنَّه ما أمر بأمرٍ، إلَّا كان أوَّل من يلتزم به!
وما نهى عن أمرٍ، إلَّا كان أوَّل من ينتهي عنه!

132
الإيمان خشوعُ القلبِ لا تَماوُت الجوارح!

في كتاب محض الصَّواب في فضائل عمر بن الخطَّاب لابن المبرِّد:

رأت الشِّفاء بنت عبد اللّه فتياناً يقتصدون في المشي ويتكلَّمون رويداً،

فقالت: ما هذا؟

فقيل: نُسَّاك!

فقالت: كان عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه إذا تَكلَّم أسمع،

وإذا مشى أسرع، وإذا ضرب أوجع، وهو واللّه ناسكٌ حقّاً!

يا صاحبي: إنَّ الإيمان في خشوع القلب لا في تماوت الجوارح!

أبو بكر رضي الله عنه كانت تُبكِيه الآية من القرآن،

وهو كما وصفتْهُ ابنته الرَّجل الأسيف الذي لا يقوى على القرآن،

ولكنَّه الأسد الهصور في حرب المرتدِّين!

وأبو عبيدة بن الجرَّاح رضي الله عنه طلَّق الدُّنيا كلَّها،

ولكنَّه الذي فتح بلاد الشَّام بسيفه!

133

لا دينَ لمن لا غَيرة له!

روى البخاريُّ ومسلم في صحيحَيْهِما:

قال النَّبيُّ ﷺ: بينما أنا نائم رأيتني في الجنَّة، فإذا بامرأةٍ تتوضَّأ إلى جانب قصرٍ، فقلتُ: لمن هذا القصر؟

فقالت: لعمر بن الخطَّاب!

فذكرتُ غيرته، فولَّيتُ مدبراً!

فبكى عمر رضي الله عنه وقال: بأبي أنتَ وأمِّي يا رسول اللّه، أعليك أغار؟!

يا صاحبي: لا دينَ لمن لا غيرةَ له!

ومن هانَ عليه عِرضه فهو للبهائم أقرب منه إلى النَّاس!

وإنَّه لا يدخل الجنَّة ديُّوث!

يأسرني جداً قول النَّبيِّ ﷺ: أتعجبون من غيرة سعد؟! لأنا أغيرُ منه، واللّه أغيرُ منِّي!

134

حقُّ الصُّحبة تخفيفُ الكُروب!

روى مسلم في صحيحه:

جاء أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعد نزول آية الفداء،

إلى النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأبي بكرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فوجدهما يبكيان،

فقال: يا رسول اللّه، أخبرني ما يُبكيك أنتَ وصاحبك؟

فإن وجدتُ بكاءً بَكيتُ، وإن لم أجد تباكيتُ لبكائكما!

يا صاحبي: حقُّ الصُّحبة تخفيفُ الكروب!

الصَّديق الحقيقيُّ يُقحِمُ نفسه في حزنك إقحاماً،

ويتعامل معكَ في انكسارك بالقلب لا بالمنطق!

ويا لروعة التَّعبير:

إن وجدتُ بكاءً بكيتُ، وإن لم أجد تباكيتُ!

كأنَّما يقول: حُزنكما حزني اقتنعتُ به أم لم أقتنع!




135
لا يعرفُ مقام الرِّجال إلَّا الرِّجال!

روى الإمام البُخاريُّ في صحيحه:
أنَّ أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه لقِيَ بلال بن رباح رضي الله عنه،
فقال: بلال سيِّدُنا، وأعتقه سيِّدُنا!
يا صاحبي: لا يعرفُ مقام الرِّجال إلَّا الرِّجال!
فمن رأيتَه يحفظ للنَّاس أقدارهم فإنَّه نبيل،
ومن رأيتَه ينتقِص من النَّبيل فإنَّه خسيس!
الإنسان الممتلئُ لا يرى في رفعة أحدٍ سقوطاً له،
ولا في نجاحِ أحدٍ فشلاً له!
أمَّا الإنسان الفارغ فإنَّه يرمم نقصه بانتقاص النَّاس،
وتجدُه يكسِر مجاذيف غيره بدل من أن يصلحَ قاربه،
كُنْ نبيلاً فالقمَّة تتَّسع للجميع!

136
العبقريَّة أن تضعَ كلَّ شيءٍ في نِصابه!

في كتاب العقدِ الفريدِ لابن عبد ربّه،
سُئِل المغيرة بن شُعبة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن عمر بن الخطَّاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:
فقال: كان له عقلٌ يمنعه أن ينخدع، وفضلٌ يمنعه أن يَخدع!
يا صاحبي: العبقريَّة أن تضعَ كلَّ شيءٍ في نِصابه!
الحزمُ حيث يجب، والرَّأفة حيث يجب،
لأنّ وضع أحدهما مكان الآخر مهلكة!
وأن تُحاسبَ حيث يجب، وتصفحَ حيث يجب،
لأنَّ وضع أحدِهما موضع الآخر مهلكة أيضاً!
كان عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إذا اشتدَّ، ظنَّ النَّاسُ أنَّه لا لين له،
وإذا لانَ، ظنُّوا أنَّه لا شدَّة له!
وهذا من تكامل شخصيَّته،
مبضع الجرَّاح في مكانه، وقلبُ الأمِّ في مكانه!

137
وصلُوا بقلوبهم لا بأقدامهم!

في مصنَّف ابن أبي شيبة:

قـال رجـلٌ لأميـر المؤمنيـن عمـر بـن الخطَّـاب: مـا رأيـتُ مثلـك!

فقال له: أرأيت أبا بكرٍ رضي الله عنه؟

فقال: لا.

فقال له: لو قلتَ أنَّك رأيتَه لأوجعتُك ضرباً!

يا صاحبي: وصلُوا بقلوبهم لا بأقدامهم!

صفَتْ قلوبهم على إخوانهم فأبلغهم اللّه مرادهم،

وحفظوا مقام إخوانهم فرفع اللّه مقاماتهم،

كان أبو بكرٍ رضي الله عنه ميتاً ولكنَّ عمر رضي الله عنه يحفظ له مقامه،

ولا يجد حرجاً أن يُذكِّر النَّاس أنَّ أبا بكرٍ خيرٌ منه!

حفـظ مقامـات النَّـاس مـن شِـيَم الأنبيـاء: ﴿وَأَخِـي هَـارُونُ هُـوَ أَفْصَـحُ مِنِّـي لِسَـانًا﴾،

وإنكار مزايا النَّاس من شِيَم إبليس: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾!

138

إنَّ اللّٰه حيِيٌّ كريم!

في كتاب الزُّهد لأبي داود:

أُتِيَ عمر بن الخطَّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بشابٍ قد سرق،

فقال الشَّابُّ: واللّٰه ما سرقتُ قبلها قطُّ!

فقال له: كذبتَ، واللّٰهِ، ما كان اللّٰه ليُسلِمَ عبداً عند أوَّل ذنبٍ!

يا صاحبي: إنَّ اللّٰه ستِّير!

من ستره أن يمهل عبده فلا يفضحه ما دام منكسراً بذنبه،

أمَّا حين يرى في قلبِ عبده فُجوراً وإصراراً فإنَّه يرفع ستره عنه!

صدِّقني، إنَّ اللّٰه لا يرفعُ سِتره إلَّا إذا بارزه عبده بالمعصية،

إلَّا إذا فتح له ألفَ بابَ توبة فأصرَّ على الذَّنب،

يأسِرُ قَلبي وصفُ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لرَبِّه: إنَّ اللّٰه حيِيٌّ كريمٌ!

139
ولكنَّ العاصمَ أعرضَ!

في كتاب الزُّهد للإمام أحمد بن حنبل:
سمع عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه رجلاً يقول:
اللهُمَّ إنَّك تحولُ بين المرء وقلبه،
فَحُلْ بيني وبين معاصيك أن أعملَ بشيءٍ منها!
فقال له: رحِمكَ اللّه، ودعا له بالخير!
يا صاحبي: لن يستقيم أحدٌ للّهِ إلَّا بعون اللّه له،
يعلمُ في قلبه خيراً فيُوفِّقه للخير!
ولا يزيغُ عبدٌ إلَّا بطرد اللّه له،
يعلمُ في قلبه شرّاً فيخلِّي بينه وبين معاصيه!
كان ابن القيِّم يقول:
تاللّه ما عدا عليك العدوُّ إلَّا بعد أن توَلَّى عنكَ الوَليُّ،
فلا تحسبنَّ الشيطان غلب، ولكنَّ العاصِم أعرض!

140
لا تَخزِنِ المال وإنَّما استثمره!

في كتاب أُسد الغابة في معرفة الصَّحابة لابن الأثير:

قال الحكم بن أبي العاص: قال لي عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه:

إنَّ في يدي مالاً لأيتامٍ قد كادت الزَّكاة أن تأتيَ عليه، فهل عندكم من متجر؟

فقلتُ: نعم.

فأعطاني عشرة آلاف، فغِبتُ ما شاء الله، ثمَّ رجعتُ إليه،

فقال: ما فعلَ مالُنا؟

قلتُ: هو ذا، قَد بلغَ مئة ألف!

يا صاحبي: المال الذي لا يُستثمر يفنى ولو كان بمقدار البحر!

فلا تخزِن المالَ وإنَّما استثمره،

الأيام تأتي على المال فتهلكه!

أغلب الذين خزنوا المال بعد تقاعدهم أفلسوا قبل أن يموتوا!

141
حتَّى وإن لم يُذكَر اسمُكَ، اللّٰه يعرفُكَ!

في كتاب التَّاريخ للطَّبريِّ:

لمَّا أتمَّ اللّٰه فتح نهاوند، جاء السَّائب بن الأقرع إلى عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه،

وقال: أبشِرْ بالفتح يا أمير المؤمنين،

فقال له: النُّعمانُ بعثَكَ؟ وكان النُّعمان بن مقرنٍ قائده على الجيش.

فقال: احتسِب النُّعمان يا أمير المؤمنين!

فبكى عمر رضي الله عنه واسترجع وقال له: ومَنْ ويحك؟

فقال: فلانٌ وفلانٌ، وعدّ ناساً، وقال: وكثيرٌ لا تعرفهم!

فقال له عمر رضي الله عنه: لا يضرُّهم ألَّا يعرفهم عمر، ولكنَّ اللّٰه يعرفهم!

يا صاحبي: اطمئن!

حتَّى وإن لم يُذكَر اسمُكَ، اللّٰه يعرفكَ!

لم يُحدِّثنا القرآن إلَّا عن خمسةٍ وعشرين نبيّاً،

أنبياء كثُر نحن لا نعرف عنهم شيئاً، ولكنَّهم أنبياء،

﴿وَرُسُلاً لَمْ نَقْصُصْهُم عَلَيْكَ﴾!

142

الصَّديقُ ملجَأُ صدِيقِه!

روى مسلمٌ في صحيحه:

أنَّ عمرَ بن الخطَّاب رضي الله عنه رأى النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم مهموماً،

فقال: لأقولنَّ شيئاً يُضحك النَّبيّ صلى الله عليه وسلم!

يا صاحبي: الصَّديقُ ملجَأُ صدِيقِه،

عُكَّازه حين يحتاج إلى الاتِّكاء، وكَتِفه حين يحتاج إلى الاستناد،

وبئره إذا ما أراد أن يفيض بالأسرار!

فإن لم يجدك صاحبك في لحظاتِ كَدرِه تُخفِّف عنه،

فما حاجته إليك وقت الرَّاحة والمزاح!

خفِّفْ أحزان صديقك،

فإن كان إماطة الأذى عن طريق الأقدام صدقة،

فكيف بإماطة الأذى عن طريق القلوب!

143

لو كانت بالأجسادِ لكانَ الجاموسُ ملكَ الغابة!

في سِيَر أعلام النُّبلاء للإمام الذَّهبيِّ،
كان عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نحيلاً قصيراً،
وأنَّه جاء إلى مجلس عمر بن الخطَّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فما كاد يبانُ من بين الجالسين،
فجعلَ عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُكلِّمُه، ويُلاطفه، ويُضاحكه،
فلمَّا ولَّى ابن مسعود، قال عمر: نحيلٌ مُلِئَ عِلماً!
يا صاحبي: إنَّما النَّاس بالجوهر لا بالمظهر،
وبما في قلوبهم لا بما في جيوبهم!
ولو كانت بالأجساد لكان الجاموسُ ملِكَ الغابة!
فلا تحكم على الكُتُب من أغلفتها!
لأجلِ المضمون كانت الكُتُب!
ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ضحك الصَّحابة من دِقَّة ساقيه،
فقال لهم النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هما في الميزان أثقلُ من جبل أُحد!

144

ستغدو كبيراً في عين نفسك!

في كتَاب الحِلم لابن أبي الدُّنيا:

قال أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

من خافَ اللّه عزَّ وجلَّ لم يشفِ غيظه،

ومن اتَّقى اللّه لم يضعْ ما يريدُ، ولولا يوم القيامة لكان غير ما ترون!

يا صاحبي: الإيمانُ قيد الفتك! هكذا قال سيِّدنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ!

ستكون قادراً على الانتقام لكنَّك لن تنتقم،

وستكون قادراً على ردِّ الإساءة ولكنَّك لن ترُدَّها،

سيردُّك أصلك ولن تنزل إلى مستواهم،

ستختار أن تتجرَّع مرارة العفو بدل سُكَّرِ الانتقام،

ولكنَّك ستغدو كبيراً في عين نفسك!

145

المُؤذي لا يستحقُّ منبراً!

في كتاب مكارم الأخلاق للخرائطيِّ:
قال أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه:
اِعتزِلْ ما يُؤذيك!
يا صاحبي: أغلب الأذى نحن نجرُّه على أنفسنا!
نذهب إلى أماكن تنتقص من قدرنا،
ونُتابع أشخاصاً يوجعنا كلامهم!
مزاجُك عزيزٌ فلا تسمح لأحدٍ أن يُفسده!
شخصيًّا من جاء يُؤذيني ولو تحت قناع الرَّأيِ أحظره!
المُؤذي لا يستحقُّ منبراً عندي،
لكَ رأيٌ فَعبِّرْ به بعيداً عنِّي!

146

أن تتعلَّق القلوب باللّه!

في سِيَر أعلام النُّبلاء للإمام الذَّهبيِّ:
قال أميرُ المؤمنين عمر بن الخطَّاب رضي اللّه عنه:
إنِّي لم أعزِل خالداً عن سخطة ولا خيانة،
ولكنَّ النَّاس قد فُتِنوا به، فأحببتُ أن يعلموا أنَّ اللّه هو الصَّانع!

يا صاحبي: عمر رضي الله عنه لا حظَّ فيه لنفسه!
يلين للّه، ويشتدُّ للّهِ، ويعطي للّهِ، ويمنعُ للّه!
وفي كلِّ خطوةٍ من خطواته يُراعي عقائد المسلمين!
همُّه أن تتعلَّق قلوب المسلمين باللّه فقط!
وكلُّ ما قد يقف في سبيل هذه الغاية يُنحِّيه،
عمر رضي الله عنه قطع شجرة بيعةِ الرِّضوان،
لأن النَّاس قد بدأوا يجعلونها مزاراً!

147

ما سُمِّيَ الإسلام إلَّا من التَّسليم!

في كتابِ مناقب عمر بن الخطَّاب لابن الجوزيِّ،
قال أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:
لا عُذر لأحدٍ في ضلالةٍ ركِبها حسِبها هُدىً،
ولا في هدىً تركه حسِبه ضلالة،
فقد بُيِّنت الأمور، وثبتت الحُجَّة، وانقطع العُذر!
يا صاحبي: إنَّ هذا الدِّين قد اكتملَ!
والنَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بلَّغَ الرِّسالة ثمَّ مضى إلى ربِّه!
ما سُمِّيَ الإسلام إلَّا من التَّسليم،
خُذْ هذا الدِّين كما جاء، والتزم أحكامه كما أُنزل،
أمَّا أن تقولَ فيه بهواك، أو بخلاف نصوصه،
فإنَّكَ تُصدِّر نفسك للنَّاس بأنَّك أعلم من النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،
أو تتَّهمه بعدم إبلاغ ما أُمِر أن يُبلِّغه!

148
والآخرةُ تبقى!

في كتاب مناقب عمر بن الخطَّاب لابن الجوزيِّ:
قال أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه:
إذا عُرِض لك أمران، أحدهما للّه، والآخَرُ للدُّنيا،
فأكثِرْ نصيبَك من الآخرة على نصيبِك من الدُّنيا،
فإنَّ الدَّنيا تنفد، والآخرة تبقى!
يا صاحبي: إنَّها فانية، فلا تجعلها كلَّ همِّك!
لم يأخذ أحدٌ منها شيئاً معه قبلك لتأخذَ أنتَ معك!
حين نام السُّلطان سليمان القانونيُّ على فراش الموت،
قال: عندما أموت أخرِجوا يَدَيَّ من التَّابوت،
حتَّى يعلمَ النَّاسُ أنَّه حتَّى السُّلطان خرج منها فارغَ اليدين!

149

لا تكشِف المستور!

في كتاب مناقب عمر بن الخطَّاب لابن الجوزيِّ:
قال أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه:
كفـى بـكَ عيبـاً أن يبـدو لـكَ مـن أخيـك مـا يخفـى عليـه مـن نفسـه،
أو تُؤذي جليسك بما لا يعنيك، أو تعيبَ شيئاً وتأتي بمثله!
يا صاحبي: الحِشَريَّة مُؤذية للنَّاس!
فَلا تُقحِمْ نفسَكَ فِي أمرٍ دون إذن صاحبه،
ولا تُلقِ بنفسِك في مشكلات بيتٍ ما لم يفتحوا لكَ الباب!
رواتب النَّاس شأنهم فسَيِّطِر على فضولِك!
والبيوتُ أسرارٌ فلا تسأل عمَّا أخفوه عنك!
يقول أحد دهاةِ العرب: ما غلبتني إلَّا جارية،
كانت تحمِلُ طبقاً مغطىً، فسألتها: ماذا في الطَّبق؟
فقالت لي: فلِمَ غطَّيناهُ إذاً؟!

150

ما أقبح أن يُصبحَ الأحبّة غرباء!

في كتاب مناقب عمر بن الخطَّاب لابن الجوزيِّ،
قال أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:
ما أقبحَ القطيعة بعد الصِّلة،
والجفاءَ بعد المودَّة، والعداءَ بعد الإخاء!
يا صاحبي: الأحبَّة، أو من كانوا كذلك، أقدر النَّاس على إيلامنا!
لأنَهُّم يعرفون أين يُسدِّدون ضرباتهم بالضَّبط،
في مَكْمَنِ الوجع، في مَكْمَنِ الوجعِ تماماً!
ما أقبحَ أن تعتقد أنَّك في مأمنٍ ثمَّ تجدُ نفسك في مرمى النَّار!
وأن تعتقدَ أنّكَ في مَنَعَة، فتَجِدَ أنّكَ هُنْتَ!
الجُرحُ يلتئم، ولكنَّ الخيبة تبقى تنِزُّ إلى الأبد!
ما أقبحَ أن يُصبح الأحبَّة غرباء!

151

فَليَصْبِر على ما يكرَه!

في كتاب الزُّهد لعبد اللّه بن المبارك،
قال أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه:
من أراد القوَّة في القلب، فليصبِرْ على ما يكره!
يا صاحبي: ليس شيءٌ أصلح للقلب من الرِّضى على قضاء اللّه وقدره!
فمن سلَّمَ للّهِ بما قضى، صبَّره، وآجره،
ومن سخط، تركه لنفسه، وكتبَ عليه الإثم،
وإنَّ القدر إذا وقع لم يرفعه تسليمٌ ولا سخط،
ولكنَّ الأجور ليست سواء، والقلوب ليست سواء!
فإن كنتَ ستسخط لفواتِ الرِّزق مرَّةً،
فتذَكَّرْ أنَّه طالما رزقكَ وأحسن إليك!
وإن كنتَ ستسخط لموتِ حبيبٍ وقريبٍ،
فإنَّك نهاية المطاف ميِّت، فادفَعْ عن نفسكَ إن استطعتَ!

152
هل لكَ أن نحرسَهُم اللَّيلة؟!

في كتاب مناقب عمر بن الخطَّاب لابن الجوزيِّ:
جاء إلى المدينة رفقةٌ من تُجَّارٍ فنزلوا قرب المسجد، فقال عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه لعبد الرَّحمن بن عوفٍ رضي الله عنه:
هل لكَ أن نحرسهم اللَّيلة؟
فقال: نعم.
فباتا يحرسانهم ويُصلِّيان، فسمع عمر رضي الله عنه بكاء صبيٍّ، فتوجَّه نحوه، وقال لأمِّه: اتَّقِي اللّه، وأحسني إلى ابنكِ!
ثمَّ عاد إلى مكانه، فسمع بكاءه، فعاد إلى أمِّه، وقال لها مثل الذي قاله لها أوَّل مرَّة، ثمَّ عاد إلى مكانه.
فلَّما كان آخر اللَّيل، سمع بكاء الصَّبيِّ، فأتى أُمَّه، وقال لها: ويحكِ، إنَّكِ أمُّ سوء، ما لي أرى ابنكِ لا يَقرُّ من البكاء؟!
فقالتْ: يا عبد اللّه، إنِّي أشغله عن الطعام، فيأبى ذلك!
فقال لها: ولِمَ؟
قالتْ: إنَّ عمرَ لا يفرضُ من بيت المال إلَّا للفطيم!
فقال: وَكم عُمُرُ ابنكِ هذا؟
قالتْ: كذا وَكذا شهراً.
فقال لها: ويحكِ، لا تُعجِّليه عن الفطام؟
فلمَّا صلَّى الصُّبح، ما استبان النَّاسُ قراءته من البكاء!

وقال لنفسه: بؤساً لعمرَ كَمْ، قتلَ من أولاد المسلمين!

ثمَّ أمَرَ منادِيه فنادى: لا تُعجِّلوا صبيانكم عن الفطام، فإنَّا نفرضُ من بيت المال لكلِّ مولودٍ في الإسلام!

وكتبَ بذلكَ إلى وُلاةِ الأمصار!

الرِّسالة الأولى:

هل لكَ أن نحرسهم اللَّيلة؟!
المسؤوليَّة صفتها مشتقَّة من اسمها، مسؤوليَّة!
وكلَّما ارتفعت رُتبة المسؤول، اتَّسع تكليفه، وعظمت مهمَّته!
فهِم عمر رضي الله عنه هذا المفهوم جيداً،
فكان يرى نفسه مسؤولاً عن كلِّ صغيرةٍ وكبيرة،
أي مُحاسبٌ عن كلِّ صغيرةٍ وكبيرةٍ!
أَمنُ الفرد الواحد من المسلمين كأمنِ الجماعة،
وحياةُ الفرد الواحد كحياة الأُمَّة،
فكما يُدافَع بالجيش عن حياض الأمَّة وسلامتها،
يُدافع بنفسه عن حياضِ الفرد وسلامته،
وها هو يقف بنفسه حارساً، لأنَّه يرى أيَّ ضررٍ يصيبهم هو المسؤول عنه!
إحدى مشكلاتنا المستعصية نحن هذه الأيام،
أننا نسأل عن حقوقنا ولا نسأل عن واجباتنا!

الرِّسالة الثَّانية:

سمع بكاء الصَّبيِّ فتوجّه نحوه!
هكذا المؤمنُ رقيقٌ أسيف!
لا تهون عليه الدَّابَّة، فكيف يهون عليه الإنسان؟!
هذا الموقف يُرِيكَ شخصيَّة عمر رضي الله عنه من الدَّاخل!
عمر رضي الله عنه كان رقيقاً جداً!
والحزم الذي عُرِفُ به وعنه لا يتنافى مع الرِّقَّة أبداً!
القسوة هي التي ضدّ الرِّقَّة، وليس الحزم،
وعمر رضي الله عنه كان حازماً ولم يكن قاسياً!
ولكن لأنَّ الحزم في كثيرٍ من الأحيان يرتدي زيَّ القسوة،
يخلط النَّاس بينهما!

الرِّسالة الثَّالثة:

اتَّقي اللَّهَ وأحسِنِي إلى ابنكِ!
يا صاحبي: الأبناءُ ودائع عندنا!
والحُرُّ يرعى الأمانة، ويحفظ الوديعة!
ومن حفظِ الذُّرِّيَّة، الاهتمام بدينها ودنياها،
لا تخلط بين مفهوم التَّربية والإعالة!
الإعالة تقديم الطَّعام والشَّراب والملبس والمسكن،
وهي أمور ضروريّة ويؤجر الأبوان بتقديمها للأبناء،
أمَّا التَّربية فهي غرس القيم، والعقيدة، والفطرة،
تعليم العبادات، ومتابعة تطبيقها،
والمحاسبة على التَّقصير بها، والإثابة والتَّشجيع على أدائها!
لهذا البنات لسنَ سلعاً للبيع لمن يدفع مهراً أكثر،
ولا هُنَّ أثقَالٌ نلقِيهنّ عن أكتافنا لأوَّل خاطب!
بل إنَّنا نُغيِّر مكان الأمانة فقط،
ننقلها من ذمَّتِنا، إلى ذمَّة من نثق بدينه وخُلقِه وأمانته،
وأيُّ تصرُّفٍ غير هذا هو خيانةٌ للأمانة!

الرِّسالة الرَّابعة:

إنِّي أُشغله عن الطَّعام، فيأبى ذلك!
الحياةُ تُجبِرنا أحياناً على فعلٍ ما لا نريده!
وقلَّةُ ذاتِ اليدِ تُضيِّق الصَّدر، وتُسوِّد الوجه!
وهذه أمٌّ تصرَّفت بخِلاف قلبها لقلَّة ذات يدها،
ولو كانت ميسورة الحال ما تعجَّلت فطام ابنها،
ولكنَّها أرادت أن تفطِمَه لأنَّ عمر رضي الله عنه،
لا يقسِم من بيت المال للرَّضيع لأنَّ قُوتَه عند أمِّه،
وإنَّما يقسم للفطيم لأنَّ مصدر غذائه لم يعد بالمجَّان!
لهذا، خذها عندك قاعدة:
كثيرٌ من تصرُّفات النَّاس تدفعهم إليها الضَّرورة!
فلا تحكم على القصَّة من مشهدٍ واحدٍ تراه،
ولا تُحاكِم أحداً أنتَ لا تعرف ظروفه!

الرِّسالة الخامسة:

ما استبان النَّاس قراءته من البكاء!

يا صاحبي: المحاريب متاريس المؤمنين!

ولحظات السُّجود مفزعهم ممَّا اقترفوا بحقِّ أنفسهم،

وممَّا آذتهم به الحياة!

فإيَّاك أن تتجلَّدَ على اللّه! اِنكسِر له، وبُثَّ ضعفكَ وشكواك!

اللّه رحيمٌ جداً، وحاشاه أن يردَّ قلباً جاءه منكسِراً!

أمَّا مع النَّاس فتجلَّد!

نظراتُ الشَّفقةِ في عيون النَّاس قاسية جداً،

ابكِ في محرابك، وبلِّل سجادة صلاتك،

ثمَّ بعدها امسح دمعك، واخرُجْ بهيًّا للنَّاس!





الرِّسالة السَّادسة:

ثُمَّ نادى مناديه فنادى: لا تُعجِّلُوا صِبيانكم على الفطام!
النَّبيلُ لا يتمادى في الخطأ،
وإذا استبان له رأي أصوب من رأيه بالأمس،
لا يجدُ حرَجاً في أن يرجع عن رأيه!
الخطأ سِمةٌ بشريَّةٌ، ولا عصمة إلَّا للأنبياء،
من رجع عن خطئه، واستغفر، غفر اللّه له،
ومن تمادى، فقد جمعَ على نفسه إثمين!
إثم الخطأ، وإثم الكِبر!
آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ قبل النُّبوَّة والعصمة أخطأ،
وأكل من الشَّجرة المحرَّمة التي نُهيَ عن الأكل منها،
ولكنَّه سرعان ما استرجع واستغفر ولم يستكبر،
فجاءته من ربِّه المغفرة والاصطفاء!
أمَّا إبليس فأخطأ، واستكبر،
رفض السُّجود لآدم عَلَيْهِ السَّلَامُ ولم يتمثل للأمر الإلهي،
وعندما عُوتبَ زاد في غَيِّه وقال: أنا خيرٌ منه!
فكن دوماً آدمياً ترجع عن الخطأ وتستغفر منه،
ولا تكن إبليسيًّا تُخطئ، ثمَّ تستكبر!

153

يا ابنةَ الأكرمين!

في كتاب التَّذكِرَة لابن الجوزيِّ، وكتاب البداية والنهاية لابن كثير:

بينما عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه يعسُّ بالمدينة،

إذ مرَّ برحبةٍ من رحابها، فإذا هو بخيمة من شَعْر،

فدَنا، فسمع أنين امرأةٍ، ورأى رجلاً قاعداً،

فدنا منه، وسلَّم عليه، وقَال له: من الرَّجل؟

فقال: رجلٌ من أهل البادية جئتُ إلى أمير المؤمنين أصيبُ من فضله،

فقال عمر رضي الله عنه: فما هذا الصَّوتُ في هذا البيت؟

فقال: امرأتي في المخاض.

فقال عمر رضي الله عنه: هل عندها أحد؟

قال: لا!

فانطلق عمرُ رضي الله عنه حتَّى أتى منزله، وقال لزوجته أمِّ كلثوم:

يا ابنة الأكرمين، هل لك في أجرٍ ساقه اللّٰه إليك؟!

قالت: وما هو؟

قال: امرأةٌ غريبةٌ في المخاض وليس عندها أحد.

قالت: نعم، إن شئتَ.

قال: خذي ما يصلح للمرأة في ولادتها من الخِرَقِ والدِّهن.
وهاتي لي بقِدْرٍ وشَحمٍ وحبوب!
فجاءت به، فحمله، ومشى معها حتى انتهى إلى البيت.
فقال لأمِّ كلثوم: ادخلي إلى المرأة.
وجاء هو حتَّى قعد مع الرجل، وقال له: أوقد لي ناراً،
ووضع عمر رضي الله عنه القِدر على النَّار وجعل يطبخ لهم!
وولدت المرأة، وقالت أُمُّ كلثوم: يا أمير المؤمنين بشِّر صاحبك بغلام!

فلمَّا سمِع الرَّجلُ بأمير المؤمنين هابه، وجعل يتنحَّى!
فقال له عمر رضي الله عنه: مكانكَ كما أنتَ!
وحمل القدر، ووضعها على الباب، وقال: أشبِعيها!
ففعلت أمُّ كلثوم، ثمَّ أخرجتْ القِدر وناولته لعُمر رضي الله عنه،
فأخذها، ووضعها بين يدي الرَّجل، وقال له: كُلْ!
وقال للرَّجل: إذا كان الغد فائتنا نأمُر لكَ بما يُصلحك!
ثمَّ نادى على أمِّ كلثوم، وأخذ بيدها، ومضى!

الرِّسالة الأولى:

بينما عمر بن الخطَّاب ﵁ يعسُّ بالمدينة!
قَسمَ اللَّيلَ بين ربِّه ورعيته، فلم يكن يهجع إلَّا قليلاً!
إمَّا قائمٌ يصلي، ويستعين بقيام اللَّيل على سعي النَّهار،
فلا يطرح شيءٌ البركة في الأجسام كقيام اللَّيلَ!
وإمَّا يطوف في الشوارع، ويمرُّ حذاء البيوت يتفقَّد أهلها!
وهذا حال من وعى أنَّ المسؤوليَّة تكليفٌ لا تشريف،
وأنَّ كلَّ هؤلاء إمَّا شهودٌ عليه عند اللّٰه أو شهودٌ له،
أراد أن يُؤدِّي المهمَّة على وجهها،
وأن يُسلِمَ الأمانة ناصعة كما استلمها من صاحبَيْه وصدق المُتنبِّي حين قال:
وإذا كانت النفوس كباراً، تعبت في مرادِها الأجسامُ!

الرِّسالة الثَّانية:

يا ابنة الأكرمين!
بهذا اللُّطفِ والحُبِّ يُناديها!
والمـرأةُ تُحِـبُّ أن يُوقِّـر زوجُهـا أهلَهـا، ولـو كانـوا مـن عـوام النَّـاس، فكيـف مـن أبوهـا علـيُّ بـن أبـي طالـب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وأمُّهـا فاطمـة بنـت النَّبـيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ناداهـا بأحـبِّ أسـمائها إليهـا!
اجعَلْ لها اسم دلع فهذا يخطفُ قلبها،
أشعِرها أنَّها غصنٌ من شجرةٍ طيِّبةٍ مباركة،
بالمقدار الذي تُحبُّ أنتَ أن توقِّرَ هي أهلك،
تُحِبُّ هي أن تُوقِّرَ لها أهلها بالكلام وبالمعاملة!

الرِّسالة الثَّالثة:

هل لكِ في أجر؟!

قضاء حوائجِ النَّاس عبادة!

كانوا يعرفونَ جيّداً أن اللّه لا يُطلبُ في المساجد فقط،

وإنَّما يُطلبُ عند النَّاس أيضاً!

عند المُنكسِرة قلُوبُهم يُخفِّف عن مصابهم،

عند العسيرة حوائجهم تقضيها لهم،

عند الفقير الذي لا يجدُ أجرة الشَّهر فتسدِّدُها عنه،

وعند المريض الذي لا يجدُ ثمنَ علبة الدَّواء تشتريها له،

عند البيت الذي نشب فيه خلاف تُطفئه،

وعند الرَّحم التي قطعها أهلها تسعى في وصلها!

كان زُبيد اليامي يطوفُ في اللَّيلة المطيرة على عجائز الحيِّ،

يقولُ لهُنَّ: أَلَكُنَّ حاجةٌ من السُّوق فأقضيها؟!

الرِّسالة الرَّابعة:

وجعل يطبخ لهم!

اِنزلْ من عليائك قليلاً فإنَّكَ من ترابٍ وإلى ترابٍ،

كان النَّبيُّ ﷺ يكون بين أصحابه،

فتأتي الجارية الصغيرة التي تأخرتْ في شيءٍ أرسلها فيه أسيادها، فتأخذُ بيده، وتمشي به، تريد أن يشفع لها عندهم، فيمشي معها ويشفع!

وهو الذي صعد إلى السَّماء السَّابعة، وسجد عند العرش!

وكان أبو بكرٍ رضي الله عنه يحلب لأيتام الحيِّ أغنامهم،

فلمَّا بُويِع بالخلافة، قالوا: الآن لا يحلبها لنا!

فقال: واللّه لأبقينَّ أحلب لكم!

التواضع تاج الأخلاق!

الرِّسالة الخامسة:

يا أمير المؤمنين بشِّر صاحبك بغلام!

لم تقُلْ له يا عمر، مع أنَّه زوجها!

وإنَّما نادته أمام النَّاس بأشرفِ رُتبة فيه!

وهو لم ينادِها من قبل: يا أم كُلثوم مع أنَّها زوجته، وإنَّما ناداها يا ابنة الأكرمين!

الاحترام قبل الحُبِّ!

أو بالأحرى إذا غاب الاحترام فعن أيِّ حبٍّ نتحدَّث!

فإنَّ النَّاس لا تهونُ عليهم كراماتهم،

وقد شاهد النَّاس عياناً أنَّ الكلمة الرَّقيقة تأسر القلوب،

فكُن لبِقاً في بيتك فهم أولى النَّاس بحسن صحبتك،

وكوني لبقةً مع زوجك فإنَّه جنَّتك ونارك!

الرِّسالة السادسة:

مكانكَ كما أنتَ!
المنصبُ له رهبة في صدور النَّاس،
فإذا كنت ذا منصبٍ فأزل هذه الرَّهبة،
وإذا خُيِّرتَ بين أن تكون مُطاعاً أو تكون محبوباً،
لا تتـردَّد، اِختـرْ أن تكـون محبوبـاً، وبالتأكيـد سـوف تكـون مُطاعـاً!
الإنسان الذي يُخشى يُطاع في حضُوره،
فإذا انصرف دعا عليه النَّاس!
أمَّا الإنسان المحبوب يُطاع في حضوره وغيبته،
كلُّنا يا صاحبي، واللّه كُلُّنا،
نقطـعُ أميـالاً إذا أحبَبْنـا، ونسـتثقِلُ أن نمشـي خطـوة إذا كرِهنـا!

الرِّسالة السَّابعة:

ناول عمر رضي الله عنه المرأةَ الطَّعامَ قبل الرَّجل، لأنَّها نُفَساء وهي أحوج إليه منه!

هذا الإسلام لا يقوم على المساواة دائماً،
لأنَّ المساواة الدائمة ظلمٌ دائمٌ!
الإسلام يقومُ على العدل!
ولا يوجد في الدُّنيا مبدأ أسمى من العدل!
فعلى سبيل المثال لا الحصر، خُذْ قضيَّة الميراث،
طبعاً هناك حالات ترثُ فيها المرأة أَكثر من الرَّجل،
ولكنَّ النَّاس يجهلون هذه التفاريع،
ولا يعرفون إلَّا قول الله تعالى: ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَينِ﴾
وهذه الآية من أسمى مواقف العدل في الإسلام، الذَّكَرُ يرثُ ضِعف ما ترث المرأة، ولكنَّه يدفعُ لها المهر ليتزوَّجها،
وهو المسؤول عن نفقتها ولو ملكت مال قارون!
فهو يأخذُ أكثر منها ليُنفِق عليها،
وهي تأخذ أقلَّ منه ليكون مالها وحدها!

الرِّسالة الثَّامنة:

ثمَّ نادى على أُمِّ كُلثوم، وأخذ بيدها ومضى!
أتمَّ مهمَّته على أكمل وجه،
ولم يقفْ يسمعَ كلام الشُّكر والثَّناء!
كان يُعامل النَّاس لأجل اللّه!
فإذا أحسنت إلى إنسانٍ فتولَّ عنه،
لا تضطَّره أن يُريق ماءَ وجهه أمامك!
وهذا من أدب الأنبياء!
موسى عليه السلام حين سقى للمرأتين تولَّى إلى الظِّلِّ،
تصرَّف معهما كأنَّه هو صاحب الحاجة وأخذها،
لا كأنَّه هو الذي أسدى لهما معروفاً!

154

السَّلامُ علَيكم يا أصحاب الضَّوء!

في كتاب التّاريخ للطَّبريِّ، وكتاب فضائل الصَّحابة للإمام أحمد:

عن زيد بن أسلم، عن أبيه أسلم مولى أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه،

قال: خرجتُ مع عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه إلى حرَّة واقم،

حتَّى إذا كنَّا قريباً منها، فإذا بنارٍ تلوح،

فقال عمر رضي الله عنه: يا أسلم، إنِّي أرى هنا ركباً قد قصر بهم اللَّيل والبرد، فانطلِقْ بنا إليهم.

فخرجنا نُهروِل حتَّى دنَونا منهم،

فإذا امرأةٌ معها صِبيانٌ.. ولها قِدْرٌ منصوبة إلى النَّار،

وصِبيانها يتضاغون من الجوع!

فقال عمر رضي الله عنه: السَّلام عليكم يا أصحاب الضَّوء،

وكرِه أن يقول: يا أصحاب النَّار!

قالت المرأة: وعليكَ السلام.

فقال عمر رضي الله عنه: أَأَدْنُو؟

قالت: أُدْنُ بخيرٍ أو دَعْ!

فدَنا، وقال: ما بالكم؟

فقالت: قَصُرُ بنا اللَّيل والبرد!

فقال: فما بال هؤلاء الصِّبية يتضاغون؟

قالت: الجوع!

قال: وأيُّ شيءٍ في هذا القِدْر؟

قالتْ: ماءٌ أُسكِتهم به حتى يناموا، اللَّه بيننا وبين عُمر!

فقال: رحمكِ اللَّه، ما يدري عمر بكم؟!

قالتْ: يتوَلَّى أمرنا ويغفلُ عنَّا!

فأقبلَ علَيَّ عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وقال: انطلِقْ بنا!

فخرجنا نُهرولُ حتَّى أتينا دار الدَّقِيق، وأخرجنا كيساً.

فقال لي عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: احْمِلْهُ علَيَّ!

فقلتُ: أنا أحمله عنك يا أمير المؤمنين.

فقال ثانيةً: احمله عليَّ!

فقلتُ كما في الأول: أنا أحمله عنك يا أمير المؤمنين!

فقَال: لا أمَّ لكَ، أأنتَ تحمل عنِّي وزري يوم القيامة!

فحملتُه عليه، فانطلقَ، وانطلقتُ معه نُهروِل، حتَّى انتهينا إليها.

فألقى الكيس، وأخرج الدَّقيق، وقال لها: ذُرِّي عليَّ وأنا أُحرِّكُ!

وجعل ينفخُ تحت القدر، وكان ذا لحيةٍ عظيمة،

فَجعلتُ أنظرُ إلى الدُّخان من خلل لحيته!

حتَّى أنضج الطَّعام، وأنزله عن النَّار، وقال لي: أعطني شيئاً!

فأتيتُه بصفيحة، فأفرغ فيها طعاماً، وقال لها: أطعميهم!

ولم يزل يغرفُ لها حتَّى شبعوا، وقام من عندها،

فقالتْ له: جزاكَ اللّه خيراً، أنت أولى بهذا من أمير المؤمنين!

فقال لها: قولي خيراً، إنَّكِ إذا جئتِ أمير المؤمنين وجدتني هناك!

ثمَّ تنحّى عنها، وسار حتَّى ربض مربض السَّبع، ينظر إليهم من بعيد، فقلتُ: يا أمير المؤمنين، إن لكَ شأناً غير هذا، فامضِ بنا!

وهو لا يكَلِّمني، حتَّى رأى الصِّبية يضحكون، وناموا!

فقال لي: يا أسلم، إنَّ الجوع أسهرهم وأبكاهم،

فأحببتُ ألَّا أنصرف حتَّى أرى ما رأيتُ منهم!

ولمَّا كان الغدُ جاءت المرأة إلى مجلسِ عمر في دار الخلافة، وإذا عن يمينه عليُّ ابن أبي طالب ﵁، وعن يساره عبد اللّه بن مسعود ﵁، هذا يقولُ له: يا أمير المؤمنين، وذاك يقول: يا أمير المؤمنين!

فلَّما رأته علمت أنَّه عمر، وأصابتها رِعْدة!

فقال لها: لا عليكِ يا أَمة اللّه، بكم تبِيعِينَ مظلمتك!

فقالت: وهل ظلمتني قطُّ؟ جئتني وأولادي يتضاغون، وفارقتني وقد شبعوا وناموا!

فقال لها: واللّه لن تُفارقي المكان حتَّى تبيعيني مظلمتكِ!

فوافقت على هذا.

واشترى مظلمتَها بستمئة درهم من ماله لا من بيت مال المسلمين، وأمرَ عليًّا ﵁ أن يكتب عقد شراء مظلمة المرأة!

ثمَّ قال: إذا أنا متُّ فضعوها في كفني حتَّى ألقى اللّه فتكون حُجّتي!

الرِّسالة الأولى:

إنِّـي أرى هنـا ركبـاً قـد قصـر بهـم اللَّيـل والبـرد، فانطلـق بنـا إليهـم!

النَّبيلُ لا ينتظرُ أن يُطلب منه،
وإنَّما يُبادر في قضاء حوائج النَّاس متى ما رآها!
البعض عندهم حياء السُّؤال،
ويُفضِّلُون ضيق الحاجة على مرارة السُّؤال!
في المبادرة ترميم لكرامات النَّاس،
فإن استطعت أن تقضي حاجة إنسان،
دون أن تضطَّره لأن يريق ماءِ وجهه بالسُّؤال فافعل!

الرِّسالة الثَّانية:

فخرجنا نُهرول حتَّى دنونا منهم!
جاؤوا يهرولون كأنَّهم أصحاب الحاجة،
لا كأنَّهم هم الذين يساعدون الآخرين في قضاء الحاجة!
فإذا أعطيتَ فأعطِ من قلبكَ،
لتكن لهفتُك للعطاء كلهفتك للأخذ بل أكثر!
أَشعر المحتاج أنَّ حاجته هي حاجتُك!
لا تسعَ نصف سعي، ولا تعط بيدٍ منقبضٍ بعض أصابعها!
إنّ اللّه يُحِبُّ إذا عمِل أحدكم عملاً أن يتقنه،
وأيُّ عملٍ أحبُّ إلى اللّه من السَّعي في قضاء حوائج النَّاس!

الرِّسالة الثَّالثة:

السَّلامُ عليكم يا أهل الضَّوء!
كرِه أن يقول يا أهل النَّار!
الكلام أناقة، وقد كان عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنيقاً في اختيار مفرداته!
يا صاحبي، إنَّ الألسنة مفاتيح العقول والقلوب!
والأدب في اختيار المفردات يأخذ بالقلوب!
يأخذ بمجامع قلبي أدب اختيار المفردات في القرآن الكريم:
قال إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ:
﴿الَّذي خَلَقَني فَهُوَ يَهدينِ وَالَّذي هُوَ يُطعِمُني وَيَسقينِ وَإِذا مَرِضتُ فَهُوَ يَشفينِ﴾
نسبَ كلَّ ما فيه نفع للّهِ، الخَلق والهداية والإطعام والسِّقاية!
ونسبَ ما فيه ضرر لنفسه: مرضتُ!
ولم يقل إذا أمرضني، مع أنَّ اللّه تعالى هو الذي أمضى قضاءه!
وقال لأبيه: ﴿يا أَبَتِ إِنّي أَخافُ أَن يَمَسَّكَ عَذابٌ مِنَ الرَّحمنِ﴾
ولم يقل من المنتقم، ولا من العادل، مع أن سياق الآيات يحتملها، فهي آية عذاب ووعيد ولكنَّه قال الرَّحمٰن، فوصفه بأحبِّ وصفٍ إليه!

الرِّسالة الرَّابعة:

اللَّهُ بيننا وبين عُمر!

قالت العرب: صاحبُ الحاجة أرعن!

نحن في لحظات الشدَّة غيرنا في لحظات الرَّخاء!

يحدثُ أن يفقدَ المرءُ اتِّزانه لحظة الحاجة!

لا تتوقع من المجروح أن يحافظ على لباقته، ولا تنتظر من المظلوم كلاماً منمَّقاً،

في لحظات الفقد سترى ناساً غير الذين تعرفهم،

لا يملك الجميع زمام أنفسهم،

فقدِّر أنَّ البعض يُنطِقُهم الوجع!

الرِّسالة الخامسة:

يتولى أمرنا، ويغفل عنَّا!
إنِّي أَكاد أقسِم أن المشهد كلَّه عند عمر رضي الله عنه في كفَّة،
وهذه الجملة في كفَّة!
الذي كان يخشى أن يُسأل عن دابة تتعثر بشاطئ الفرات،
لن تمرَّ هذه الجملة عليه مرور الكرام!
وقعت هذه الجملة عميقاً في قلب عمر رضي الله عنه،
لأنَّها ضربت عنده شيئاً متجذِّراً فيه،
شدَّة تقواه للّه، ومخافته أن يسأله اللّه عن النَّاس!
فإذا أردتَ أن تُؤثِّر،
عليكَ أن تعرفَ الوترَ الحسَّاس فيمن تخاطبه وتعزف عليه!

الرِّسالة السَّادسة:

احملِه علَيَّ!
إذا أخطأت بنفسك، فأصلحْ بنفسك!
أنت لا تحتاج أن تعتذر للآخرين فقط،
أنتَ أحياناً تحتاج أن تعتذر لنفسك،
وأجمل اعتذار للنَّفس حملُها على إصلاح ما أفسدتْ!
علَّمنا عمر رضي الله عنه درساً بليغاً،
إصلاح الخطأ يكون من جنسه!
من أخطأ بفعله عليه أن يعتذر بفعلٍ،
لا يكفي أن تُفسِد بيدك، وتعتذر بكلامكَ!
ولا يكفي أن تجرح إنساناً على الملأ،
ثمَّ تأتي لتعتذر إليه في السِّرِّ!

الرِّسالة السَّابعة:

أأنتَ تحملُ عنِّي وزري يوم القيامة؟!
يا صاحبي: نحن نملأ صحائفنا بأيدينا!
لا أحد سيحمل ذنب أحد!
كلُّ الذين عصيتَ اللّه لأجلهم لن ينفعوك!
وكلُّ الذين ناصرتَهم ظلماً لن يُغنوا عنك شيئاً!
فلا تخض معارك الآخرين في الباطل!
أنتَ قادم على يوم يفرُّ فيه المرء من أقربائه،
وكلُّ النَّاس يومذاكَ نداؤُهم: نفسي، نفسي!
فإذا كنتَ قادراً على الإصلاح، فأصلِح!
وإلَّا فجلوسك جانباً خيرٌ من عون إنسانٍ في الباطل!

الرِّسالة الثامنة:

فجعلتُ أنظرُ إلى الدُّخان من خلل لحيته!
يا لهذا المشهد المهيب!
ويا لهذا الرَّجل الذي لا يتكرَّرُ في التَّاريخ!
الرَّجل الذي بإشارةٍ من إصبعه يحرِّك الجيوش،
يُثني ركبتيه على الأرض فينفخُ في النَّار ليوقدها،
لا لشيءٍ إلَّا ليطبخ هو لأولادٍ جياع!
إن هذا الموقف لهو أكثر رفعةً لعمر رضي الله عنه من هزيمة الإمبراطوريات،
إنَّه انتصار الإنسان على نفسه!

الرِّسالة التَّاسعة:

ربضَ مربض السَّبع!

هذا مشهد مهيبٌ أيضاً!

حمل الدَّقيق على ظهره،

وأوقد النَّار حتَّى تصاعد دخانها من لحيته، وطبخ لهم بنفسه!

وجعل يغرفُ الطَّعام ويُبَرِّدُه ويناوله لأمِّهم لتطعمهم،

ومع هذا لا يكتفي!

إنَّه الآن كامنٌ كالأسدِ لحظة انقضاضه على فريسة!

كلُّ شيءٍ فيه متحفِّزٌ،

يريد أن يرى خللاً ما لينقضَّ فيصلحه!

يريدُ أن يرى إصلاح المشهد بنفسه!

جاءهم يبكون، ولن يغادرهم إلَّا وهم يضحكون،

فلمَّا تمَّت المهمَّة قام الأسد من مربضه ومضى!

الرِّسالة العاشرة:

بكم تبيعين مظلمتك؟!
يا صاحبي: تحلَّل من النَّاس اليوم،
الاعتذار الآن ينفع،
ورَدُّ الحقوق الآن يُجدي،
ورفع الظلم الآن ميسور،
اشترِ نفسك ما تملك، فغداً لن ينفعَ درهمٌ ولا دينار!
غداً سيتعاملُ النَّاس بالحسنات والسَّيِّئات، كلُّ من أسأتَ إليهم سيأخذون من حسناتك!
حتَّى إذا فنيتْ حسناتك أُخذ من سيِّئاتهم!
قرأتُ مرةً تغريدةً لشخصٍ يقول:
صعقتني مقولة عاملٍ مسكين عمل لي عملاً، فلما انتهى، أردتُ أن أمازحه، فقلتُ له: الحسابُ ليوم الحساب!
فقال لي: صدِّقني أن تدفع اليوم أرخص لكَ!

155

اللهمَّ أظفرْني بقاتله!

فـي كتـاب محـض الصَّـواب فـي فضائـل عمـر بـن الخطَّـاب لابـن المُبـرِّد:

أُتِي أميرُ المؤمنين عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه بفتىً أمرد،
قد وُجدَ قتيلاً، مُلقىً على وجهه في الطَّريق!
فسألَ عن أمره، واجتهد، فلم يقف له على خبر،
ولم يعرف له قاتلاً، فشقَّ ذلك عليه!
فقال: اللهُمَّ أظْفِرْني بقاتله!
حتَّى مضى عام، أو قريب من ذلك،
وجدوا صبيًّا مولوداً، مُلقىً في موضع القتيل!
فجِيء به إلى عمرٍ، فقال: ظفرتُ بدم القتيل إن شاء اللّه!
فدفعَ الصَّبِيَّ إلى امرأةٍ، وقال لها: قومي بشأنه،
وخُذِي منَّا نفقته، وانظري من يأخذه منك،
فـإذا وجـدتِ امـرأةً تُقبِّلـه، وتضمُّـهُ إلـى صدرهـا، فأعلمينـي بهـا!
فلمّا شبّ الصَّبيُّ، جاءت جاريةٌ، وقالت للمرأة:
إنَّ سيِّدتي أرسلتني إليكِ لترى الصَّبيَّ، وتردُّه إليكِ!
فقالتْ: نعم، اذهبي به إليها، وأنا معكِ!
فذهبتْ بالصَّبيِّ والمرأة معها، حتَّى دخلتْ على سيِّدتها،

فلمَّا رأته، أخذته وقَبَّلَتْهُ، وضمَّته إلى صدرها!
فإذا هي بنت شيخٍ من الأنصار من أصحاب النَّبيِّ ﷺ،
فأخبرتِ المرأة عمر بن الخطَّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالأمر،
فاشتملَ سيفه، وأتى منزلها، فوجد أباها متَّكِئاً على باب داره.
فقال له: يا أبا فلان، ما فعلت ابنتك فلانة؟
فقال: يا أمير المؤمنين، جزاها اللّٰه خيراً، هي من أعرفِ النَّاس بحقِّ اللّٰه،
وحقِّ أبيها، مع حُسن صلاتها، وصيامها، والقيام بدينها!
فقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قد أحببتُ أن أدخل عليها فأزيدها رغبةً في الخير.
فقال: جزاك اللّٰه خيراً يا أمير المؤمنين،
اُمْكُثْ مَكانكَ حتَّى أرجعَ إليك!
فاستأذنَ له، فلمَّا دخل عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أمر بخروج الجميع عنها!
وبقيتْ هي وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في البيت ليس معهما أحد،
فَكشفَ لها عن السَّيف، وقال: أصْدُقيني!
فقالتْ: على رسلكَ يا أمير المؤمنين، فواللّٰه لأصْدُقَنَّكَ!
إنَّ عجوزاً كانت تدخلُ عليَّ، فاتَّخذتُها أمّاً،
وكانت تقومُ في أمري بما تقوم به الوالدة، وَكُنتُ لها بمنزلة البنت.
ثمَّ قالت لي يوماً: يا بُنيَّةَ، إنَّه قد عرضَ لي سفر،
ولي بنتٌ في موضع أتخوَّفُ عليها منه أن تضيع،
وقد أحببتُ أن أضمَّها إليكِ حتَّى أرجع من سفري!

فعمدتّ إلى ابنٍ لها شاب أمرد فهيَّأته كهيئة الجارية،
وأتتني به لا أشكٍّ أنَّه جارية،
فكان يرى منيِّ ما ترى الجارية من الجارية!
حتَّى اعتقلني يوماً وأنا نائمة، فما شعرتُ حتَّى علاني وخالطني،
فمدَدْتُ يدي إلى شفرة كانت إلى جنبي فقتلتُه!
ثمَّ أمرتُ به فأُلقيَ حيثُ رأيتَ،
فاشتملتُ منه على هذا الصَّبيِّ، فلمَّا وضعته،
ألقيتُه في موضع أبيه، فواللّه هذا هو خبرهما!
فقال لها عمر رضي الله عنه: صدقتِ باركَ اللّه فيكِ.
ثمَّ خرج، وقال لأبيها: باركٍ اللّه لك في ابنتك، فنِعمَ الابنة!
فقال أبوها: وصلكَ اللّه يا أمير المؤمنين، وجزاك خيراً عن رعيَّتِك!

الرِّسالة الأولى:

اللهمَّ أظفِرْني بقاتله!
اسعَ سعيكَ ولكن علِّق قلبكَ باللّهِ،
واللّه لو أنَّكَ أخذتَ لحاجتك ألف سببٍ،
فلن تُقضى ما لم يأذنِ اللّه بقضائها!
فلا تجلسْ جلوسَ العاجز وتتمنَّى على اللّه الأماني،
ولا تعتقِدَنّ لحظةً أنَّك مُدبِّر أمرِكَ!
سِرُّ الإيمان هو الموازنة بين الأخذِ بالأسباب واليقين على اللّه!
مفاتيح الأبواب كلُّها بيد اللّه، هذا هو اليقين على اللّه!
أن تبحثَ عن طريقة لفتح الباب، هذا هو الأخذ بالسبب!
يُعاكس هذا اليقين على السَّبب، أو تركه مطلقاً بحجَّة اليقين على اللّه!
اليقين على السَّبب يجعلُك آلةً بلا روح ولا إيمان،
وترك السَّبب مُطلقاً مع القدرة عليه يجعلُك ساذجاً!

الرِّسالة الثَّانية:

اُنظري من يأخذه منكِ!
عَلِمَ عمر رضي الله عنه أنَّ الأمَّ ستعود لتتفقَّدَ ابنها!
لو هانت الدُّنيا كلُّها على المرأة فلن يهون أولادها،
ولو زهدت بالدُّنيا كلِّها فلن تزهدَ بفلذة كبِدِها،
غريزة الأمومة التي ألقاها اللّٰه في قلوب النِّساء،
تُريك كيف يُحوِّل الحُبُّ المرأة من كائنٍ ترابيٍّ إلى ملاك!
نصبَ لها الفخَّ من حيث علِمَ أنَّ قَلبها سيميل،
مدهشٌ عمر رضي الله عنه، واللّٰه مدهشٌ،
هذه فكرةٌ لا تخطر على بالِ أعتى المُحقِّقين،
ولكنَّه بكلِّ بساطة عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه،
بلغ الكمالَ، أو كادَ!
وما فاته منه فقد فات لأنَّ اللّٰه تعالى قضى أنَّ الكمال له وحدة سبحانه!

الرِّسالة الثَّالثة:

اذهبي به إليها، وأنا معكِ!
لا تستخدم على قضاء حوائجك إلَّا العاقل!
الأحمقُ ربَّما أراد أن ينفعكَ فألحقَ بكَ الضَّرر،
وربَّما جاءه شيءٌ معاكسٌ للخطَّة فعجز عن التَّفكير،
أمَّا العاقل فيسير برُشدٍ على الخطة،
وإن حصل فيها أيُّ تغييرٍ اجتهد بالذي ينفع!
انتقِ من تُكلِّفُه بالعمل،
وانتقِ مهاراتٍ تكون من جنس العمل،
اختيار الإنسان لمن يستخدمه يدلُّ على عقله!

الرِّسالة الرَّابعة:

أحببتُ أن أدخل عليها فأزيدها رغبةً في الخير!
كان أيسر شيءٍ على عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حين علم بالمرأة،
أن يعتقلها، ويُجلسها أمامه في مجلس القضاء!
ولكنَّ المؤمن يستر الأعراض ولا يفضحها،
ويُقيل العثرات ولا يقف عندها حتَّى يستبين،
ويُراعي من وقع عنده الأمر أيضاً،
والدها صحابيٌّ، وأهل الفضل يحفظون لأهل الفضل فضلهم!
ما يُقضى بالسِّرِّ في مسائل الأعراض فلا تُفشِه،
وما تُضيِّقُ به دائرة المعارف فلا توسِّعها،
حتَّى العُصاة لهم حُرمات يجب أن تُراعى،
وإذا هتك إنسانٌ السِّتر بينه وبين ربِّه،
فهذا ليس مبرِّراً لكَ أن تهتِكَ ستره أمام النَّاس!

الرِّسالة الخامسة:

فكشفَ لها عن السَّيف، وقال: اُصدُقِيني!
الذي لا يقدر على العقاب لا يحقُّ له التَّحدُّث عن العفو،
لأنَّ عفو العاجز عن العقاب هو قلَّة حيلةٍ لا أكثر!
كان عمر رضي الله عنه هنا كأنَّما يقولُ لها:
جئتُكِ ساتراً، ولكنِّي لم آتِ ضعيفاً!
يا اللَّه ما أجمل القوَّة حين تُزيِّنها الأخلاق!




الرِّسالة السَّادسة:

فمددتُ يدي إلى شفرةٍ كانت جنبي فقتلتُه!

من تعدَّى على الأعراض فلا حُرمة له!

لم يأخذها عمر رضي الله عنه بما يسمُّونه الحقُّ العام، وإنَّما أخذها بالمظلوم الذي دفع الظَّالم!

لم يجعل له ديَةً لأن هادر العِرض لا ثمن لدَمِهِ!

أكبرَ فيها أنَّها دافعت عن عرضها،

ما قال لها لو أنَّك دفعته عنكِ فقط،

لم يُعلِّق مُطلقاً على قَضَيَّةِ قتله،

كأنَّها قضيَّةٌ هامشيَّةٌ وليست هي بيتُ القصيد!

إنَّ من أسوأ القضاء اليوم هي تلك المواد،

التي تنظر في النتائج فقط وتتجاهل الأسباب!

الرِّسالة السَّابعة:

ألقيتُه في موضع أبيه!
كانت كأنَّما تقول: اليوم طهَّرتُ شرفي!
وهذه امرأة من أعقلِ النِّساء اللاتي قرأتُ عنهنَّ!
قضايا العِرض حسَّاسة!
والذي يسير في موضع الشَّرف كالسَّائر في حقل ألغام!
حتَّى والدُها لم يعلم بالذي حدث،
ولو علِم أهلُها ربَّما فتكوا بالرَّجل الجاني،
آثرتِ الصَّمتَ لتعصِم دماءً لا ذنب لها،
وسترت عرضها، لأنَّ النَّاس ذِمَمُهم واسعة وسيخوضون،
وأخفت حملها، وتخلَّصت من وليدها بطريقةٍ مذهلة،
طريقة فيها من العقل الكثير، ومن العُنفوان أكثر!
وليس الموضع موضع هل يجوز التَّخلص أم لا،
إنَّ الخبر كلُّه ملخصه لم يكن بالإمكان أفضل ممَّا كان!

الرِّسالة الثَّامنة:

باركَ اللّهُ لكَ في ابنتِكَ، فنِعم الابنة!
عمر رضي الله عنه لا يفوتُه أيُّ تفصيلٍ صغير،
ختمَ الأمر بعقلٍ يزنُ بلداً،
تماماً كما بدأه بعقلٍ يزنُ بلداً!
جاء كهيئةِ النَّاصح لعابدةٍ من عابدات النِّساء،
وخرج كهيئة الرَّاضي عن عابدة من عابدات النِّساء،
لم يترك في صدر والدها شكّاً،
الأمر كلُّه مرتَّبٌ على الطريقة التي نُغلِقُ فيها الأمور،
انتزاعُ السَّهم أكثر وجعاً من غرسه!
وأوَّل ما يتعلَّمُه الطَّيَّارون هو الهبوط!

156

مرحباً بنسبٍ قريب!

روى الإمام البخاريُّ في صحيحه:

عن زيد بن أسلم، عن أبيه أسلم مولى عمر بن الخطَّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال:

خرجتُ مع عمر بن الخطَّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى السُّوق،

فلحقته امرأةٌ شابَّةٌ، وقالت له:

يا أمير المؤمنين، هلكَ زوجي، وتركَ صِبيةً صغاراً،

ما يُنضجون كُراعاً، ولا لهم زرعٌ ولا ضَرع، وخشيتُ عليهم الضَّيع!

وأنا بنتُ خِفاف بن إيماءٍ الغَفاريِّ،

وقد شهد أبي الحُديبية مع رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

فوقفَ لها عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقال: مرحباً بنسب قريب!

ثمَّ انصرف إلى بعيرٍ كان مربوطاً في الدَّار،

فحملَ عليه غرارتين/ وعاءَيْن من صوف ملأهما طعاماً،

وجعل بينهما نفقةً وثياباً، ثمَّ ناولها خطام البعير،

وقال لها: اقتاديه، فلن يفنى هذا حتَّى يأتيكم اللّه بخير!

فقال رجلٌ: يا أمير المؤمنين أَكثرت لها!

فقال له: ثكلتْكَ أُمُّكَ، واللّهِ إنِّي رأيتُ أبا هذه وأخاها،

قد حاصرا حصناً زماناً فافتتحناه،

ثمَّ أصبحنا نستفيءُ سُهمانهُما فيه

الرِّسالة الأولى:

يا أمير المؤمنين!
لا ترفعْ حاجتك إلَّا عند أهلها!
إن كان بإمكانك أن تشرب من منبع النَّهر،
فلا ترضَ أن تشربَ من السَّواقي!
وإن كان بإمكانك أن تصل بنفسك،
فلا تُرسِل صاحبك مع غيرك!
وإن كان بإمكانك أن تطرق الباب بيدك،
فاستغن عن يدِ غيرك،
ولكن إن كانت الأبواب مغلقة، والوصول عسير،
فاستَعِن على حاجتك بمن يُحِبُّ قَضاءها!

الرِّسالة الثَّانية:

أنا بنتُ خِفاف بن إيماءٍ الغَفاريِّ!
وقد شهِد أبي الحُديبية مع رسول الله ﷺ!
عرِّف عن نفسك بأجملِ طريقةٍ، وأبسطها!
لا تُبالغ ولا تَدَّعِ!
في طلبات الوظائف لا يجوز ادِّعاء مهارةٍ لا تملكها،
ولا يجوز أن تعرِضَ نفسك خبيراً وأنت مبتدئ!
يعجبُني جداً الذين لا يُبالغون في عرضِ قدراتهم،
يعجبونني لأيَّةِ ملَّةٍ أو دينٍ انتموا،
قرأتُ مرَّةً أنَّ البيتَ الأبيض أصدر سِيرةً لأبراهام لينكولن،
وجاء في السِّيرةِ الكتبُ التي قرأها،
وبعد أن اطَّلع عليها الرئيس وجد من بينها كتاباً لم يقرأه،
فطلب منهم أن يحضروه له على الفور ليقرأه!
وقال: من العيب ادِّعاء فعل الأشياء الجيِّدة!

الرِّسالة الثَّالثة:

مرحباً بنسبٍ قريب!
ابسُطْ للنَّاس وجهكَ قبل أن تبسط لهم جيبَك،
وافتح للنَّاس قلبكَ قبَل أن تفتح لهم بيتك!
دِفءُ الكلام لا يُغني عنه شيءٌ في الدُّنيا!
الحاجة فيها صقيعٌ لا يشعر بها إلَّا صاحبها،
فكُن دافئاً بكلامك، وابتسامتك، وملامحك!
واحفظ للنَّاس أقدارهم، وأنزلهم منازلهم!
هذه الدُّنيا كالدُّولاب، لا تكفُّ عن الدوران،
ومواضع النَّاس فيها تتبدَّل مع كلِّ دوران!
يعِزُّ على أبناء العزِّ أن يصيروا إلى الذُّلِّ،
فرمِّمْ حاجات النَّاس بحسن أدبك!

الرِّسالة الرَّابعة:

ثمَّ انصرف إلى بعيرٍ كان مربوطاً في الدَّار!
اقضِ حوائج النَّاس بيدِك إن استطعتَ!
صحيح أن تكليف الآخرين بقضاء الحاجات فيه أجرٌ،
ولا يستطيع المسؤول أن يقوم بكل شيءٍ بنفسه،
ويكفيه نُبلاً أن يأمر بقضاء الحاجات،
ولكن أن تقوم بالأمر بنفسك فهو أثبت في الأجر،
وفيه لذَّة ستعرِفُها حين تقضي حوائج النَّاس وأنت معهم!
الأمر لا يتعلَّق بسماع المديح والثَّناء،
ولا يتعلَّق أبداً بسماع كلمات الشُّكر،
في ملامح وجوه المقضِيَّة حوائجهم غذاء للقلب والرُّوح!
نحن نحتاج أن نُقدِّم الخير كحاجتنا لأخذه بل أكثر!

الرِّسالة الخامسة:

أكثرتَ لها!

سترى دوماً هؤلاء الذين يستكثرون الخير على النَّاس!

فلا تلتفتْ إليهم!

بالمناسبة: النّبيل يُعطي على قدره لا على قدرِ حاجاتِ النَّاس!

ربَّما جاءك من يطلب مبلغاً على قدر حاجته، فزده ووسِّع عليه يوسِّع اللّٰه عليك، درسان لا أنساهما ما حييتُ،

الأول: كنتُ صغيراً حين جاء ابن جيراننا وقال:

أريدُ بصلةً لأمِّي لتُكمل الطَّبخة، وهذا شائعٌ عندنا بحكم تلاصق البيوت، وعلاقات النَّاس الطيِّبة ببعضهم، وهذا لا علاقة له بالحاجة بل بالعشم، واستغلالاً للوقت أيضاً،

المُهمُّ أنَّ أمِّي قالت لي: أعطه!

فقمتُ وأعطيتُه بصلةً واحدةً بحكم أنَّه طلبها،

فنَهَرتْني أمِّي، وقالت لي: أعطِه أكثر!

ولمَّا انصرف، قالت لي: لا تُعطِ بالعدد!

الثَّاني: جمعنا مرّةً مبلغاً لعمليَّة جراحيَّة،

فلمَّا اكتمل المبلغ بالضبط أردنا أن نتوقف،

فقال لنا أحد الأفاضل: اجمعوا قليلاً بعد!

فلمَّا فعلنا، قال أعطوه فوق ما تريده المستشفى،

هذا مريضٌ يحتاج بعد خروجه دواءً وغذاءً!

الرِّسالة السَّادسة:

رأيتُ أبا هذه وأخاها قد حاصرا حصناً زماناً،
فافتتحناه، ثمَّ أصبحنا نستفيءُ، من سهمانهما فيه!
ثَمَّة ديونٌ لا تُسدَّد، ومواقفُ لا تُنسى!
والنَّبيلُ ينتهزُ أدنى فرصةٍ ليُسدِّد،
ولو جزءاً صغيراً من معروفٍ أسدِيَ إليه!
وهذه أخلاقُ الأنبياء!
يوم رُجِم النَّبيُّ ﷺ في الطَّائف،
وقفل عائداً إلى مكَّة، ومنعوه من دخولها،
دخل في جِوار مطعم بن عَدِيٍّ،
فأجاره مطعم، وجمع أولاده، وأدخلوه تحت حمايتهم،
ونادى: يا معشر قريشٍ إنِّي قد أجرتُ محمداً فلا يقربنَّه أحد!
ولمَّا كانت معركة بدرٍ،
نظر النَّبيُّ ﷺ في أسرى - قريش،
وقال: لو كان مطعم بن عديٍّ حيّاً ثمَّ كلَّمني في هؤلاء النَّتنى لأطلقتهم له!
وهذا من أبلغِ دُروس الوفاء في التَّاريخ!

157

الحمدُ للّٰهِ الذي جعل فينا شبيهَ يُوسف!

في كتاب محض الصَّواب في فضائل عمر بن الخطَّاب لابن المُبرِّد:

قال حُصين بن عبد الرَّحمٰن السُّلميِّ الكُوفيِّ:

بلغني أن فتىً من أهل المدينة كان يشهد الصَّلاة كلَّها مع عُمر رضي الله عنه:

وكان عمر رضي الله عنه يتفقَّده إذا غاب، فعشِقَته امرأة من أهل المدينة،

وذكرت ذلكَ إلى بعض نسائها،

فقالتْ: أنا أحتالُ لكِ في إدخاله عليكِ،

فقعدت له في الطَّريق، فلمَّا مرَّ بها قالت له:

إنِّي امرأةٌ كبيرةٌ في السِّنِّ، ولي شاةٌ لا أستطيع أن أحلبَها،

فلو دخلتَ فحلبتَها لي!

فدخلَ فلم يرَ الشَّاة، فقالت: اجلسْ حتَّى آتيكَ بها!

فإذا المرأة التي تعشقه قد طلعت عليه،

فلمَّا رأى ذلك عمد إلى محراب البيت فجلس فيه،

فأرادته عن نفسه فأبى، وقال: اتَّقي اللّٰه أيَّتها المرأة!

فجعلتْ لا تَكفُّ عنه، ولا تلتفتُ إلى قوله،

فلمَّا أبى عليها، صاحتْ، فجاء النَّاس:

فقالتْ: إنَّ هذا دخلَ عليَّ يُريدُني عن نفسي!

فوثبُوا عليه، وجعلوا يضربونه، وأوثقوه..

فلمَّا صلَّى عُمر ﵁ فقده،

وبينما هو كذلك إذ جاءوا به في وَثاقه

فلمَّا رآه عمر ﵁ قال: اللهُمَّ لا تُخيِّبْ ظَنِّي به!

ثمَّ أقبل على النَّاس، وقال: ما لكم؟

قالوا: استغاثت امرأةٌ باللَّيل، فجئنا فوجدنا هذا الغلام عندها!

فقال له عمر ﵁: اُصدُقني!

فأخبره بالقصَّة على وجهها.

فقال له عمر ﵁: أتعرف العجوز؟

قال: نعم، إن رأيتُها عرفتها!

فأرسل إلى نساء جيرانها وعجائزهنَّ، وعرضَهُنَّ عليه،

فوقف على العجوز، وقال: هذه يا أمير المؤمنين!

فرفع عمر ﵁ عليها الدرَّة، وقال: اُصدُقِيني!

فقصَّتْ عليه القصَّة كما قَصَّها الفتى!

فقال عمر ﵁: الحمدُ للهِ الذي جعل فينا شبيهَ يُوسفَ!

الرِّسالة الأولى:

وكان عمر رضي الله عنه يتفقَّده إذا غاب!
وَكذا النَّبيلُ إذا غاب إلفه تفقَّده،
لا تجعل علاقتك مع النَّاس على قانون،
من أتى أهلاً، ومن غادر مع السَّلامة!
فإنَّك لا تعلم ظروف النَّاس، ولعلَّك جالس تتَّهِمَه بقطعك،
وهو في ظرفٍ أحوج ما يكون فيه إلى وصلك!

الرِّسالة الثَّانية:

فعشقته امرأة من أهل المدينة!
المرءُ لا يملك قلبه!
كان نبيّاً ذاك الذي قال قاصداً قلبه:
اللهمَّ إني عدلتُ في كلِّ شيءٍ إلَّا في هذا!
الإسلام ليس ضدَّ الحُبِّ، الإسلام دينُ الحُبِّ،
ولكنَّ الإسلام ضدّ الآثام التي تُرتكب باسم الحُبِّ!
لا إثم على المرء بما يهواه قلبه،
هذه القلوب تنبضُ دون إذنٍ منَّا!
ولكنَّ تصرُّفاتِنا بأيدينا،
وعلى المرء أن يملكَ زمام نفسه!
فإن كان إلى الحلال سبيلٌ فاسلكه فوراً،
الزَّواج الذي يتوِّجه الحبُّ في بيت مليء بالإيمان ساحرٌ جدّاً،
وإن لم يكن إلى الحلال من سبيل،
فأمسِكْ عليكَ قَلبكَ!

الرِّسالة الثَّالثة:

أنا أحتالُ لكِ في إدخاله عليكِ!
لا تُسهِّل الحرام لأحد،
فإنَّ له لذَّته وإثمه، ولك إثمه فقط!
ما أحمق من يبيع آخرته بدنيا غيره!
إذا استشاركَ أحد في منكر،
فأغلق في وجهه الأبواب المفتوحة،
فإن انتهى فقد أخذتَ أجركَ وأجره،
وإن لم ينتهِ فقد أخذتَ أجر النَّهيِ عن المنكر،
دُلَّ النَّاس على الخير دائماً،
فمن فعله منهم فقد شاركتَه في الأجر،
ومن لم يفعله منهم فقد أخذتَ أجرَ الأمر بالمعروف!

الرِّسالة الرَّابعة:

فلمَّا رأى ذلك عمد إلى محراب البيت فقعد فيه!
المحاريب خنادقُ المؤمنين،
حين اتَّهموا الرَّاهب جُريج بالزِّنى وهو منه براء،
نظر إلى البغيِّ وهي تحمل ابنها في يدها،
وقال: دعوني أُصلِّي!
فلما انتهى من صلاته، وضع إصبعه في خاصرة الرَّضيع،
وقال له: من أبوك؟!
فقال: أبي فلانٌ الرَّاعي!
ومن قبل بُشِّر زكريّا عليه السلام بيحيى عليه السلام، وهو قائمٌ يصلِّي في المحراب!
بُشِّرَ في المكان الذي كان مفزعه وملاذه،
سمع إجابة دعائه في المكان الذي كان يدعو فيه!
كان النَّبيُّ ﷺ إذا حزبه أمرٌ فزِع إلى الصَّلاة!

الرِّسالة الخامسة:

اللهمَّ لا تُخيِّب ظنِّي به!
سلِ اللّه دوماً ألا يخيِّب ظنَّك بأحد،
ألا يأتي فزعُك من حيث اطمأننْتَ،
وألا يأتي كسركَ من حيث توقَّعت الجبر،
وألا تأتيك الطَّعنة من مأمنكَ،
طعم الجرح صعبٌ بغضِّ النَّظر ممَّن أتى،
ولكنَّ الجرح المشوب بالخيبة مميت، مميتٌ جدّاً!

الرِّسالة السَّادسة:

الحمدُ للّٰهِ الذي جعلَ فينا شبيهَ يُوسف!
هذه أمَّة مباركة بكرامة سيِّدها ﷺ على ربِّه!
الخيرُ فيها لا ينقطع،
والحقُّ فيها لا يخبو ولا ينطفئ، والطَّاقات فيها تنزف ولا تموت!
أمَّةٌ تعتلي القمَّة حيناً، وتهبط إلى الوادي حيناً آخر،
ولكنَّها أمَّة باقية لا تفنى،
تنهضُ في كلِّ مرَّةٍ كأنَّما ما أصابها سوء،
تعتلي القمَّة التي تليق بها،
وهكذا حتَّى يُقاتل آخرها الدَّجَّال!

158
ابنةُ بائعةِ اللبن!

في كتاب أخبار عمر للآجريِّ، وكتاب مناقب عمر لابن الجوزيِّ:

عن أسلم مولى أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه قال:

بينما أنا مع عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه، وهو يتفقَّدُ النَّاس باللَّيل،

إذ تعبَ، فاتَّكأ على جدارٍ،

وإذا بامرأةٍ تقولُ لابنتها: قومي إلى ذلك الماء فامذُقِيه باللَّبن!

فقالتْ: يا أمَّاه، أما علمتِ بما أمرَ به أمير المؤمنين؟

قالتْ: وبمَ أمرَ يا بُنيَّة؟

قالتْ: إنَّه أمرَ مناديه فنادى: لا يُشابُ اللَّبن بالماء!

فقالتْ لها: يا بُنيَّة، قومي إلى اللَّبن فامْذُقِيه بالماء،

فإنَّك في موضعٍ لا يراكِ فيه عمر، ولا منادي عمر!

فقالت: ما كنتُ لأطيعه في الملا وأعصيه في الخلا!

وعُمرُ رضي الله عنه يسمع كلَّ هذا!

فقال: يا أسلم: أعلِم الباب، واعرف الموضع!

فلمَّا أصبح، قال: يا أسلم امضِ فاعلَم من القائلة ومن المقول لها؟

واسأل هل لهم من بعل.

فأتيتُ الموضع، فنظرتُ فإذا الجارية لا بعلَ لها،

وتلك أمُّها وليس لها زوج، فأتيتُ عمر رضي الله عنه فأخبرته.

فدعا أولاده فجمعهم وقال: هل فيكم من يحتاج إلى امرأةٍ فأُزَوِّجَه؟

ولو كان بأبيكم رغبةٌ في النِّساء ما سبقه منكم أحدٌ إليها!

فقال عبد اللّٰه: لي زوجة.

وقال عبد الرَّحمٰن: لي زوجة.

وقال عاصم: يا أبتاه، لا زوجة لي فزوِّجني!

فبعث إلى الجارية فزوَّجها من عاصم،

فولدتْ له بنتاً، وولدتْ هذه البنت عمر بن عبد العزيز:

وبهذا يكون عمر بن الخطَّاب جدُّ عمر بن عبد العزيز لأُمِّه!

الرِّسالة الأولى:

بينما أنا مع عمر بن الخطَّاب وهو يتفقَّد النَّاس باللَّيل، إذ تعِب، فاتَّكأ على جدار!

عرفَ عمر رضي الله عنه أنَّ النَّعيم لا يُدرَكُ بالنَّعيم،
وأنَّ من أراد أن يصلِح آخرتَه أفسدَ شيئاً من دنياه!
عمر رضي الله عنه كان قد تجاوز السِّتين يومها!
وللعُمر حقُّه، وللسِّن أحكامه،
ولكن حين تعلو همَّة المرء يَهُن عنده كلُّ شيءٍ!
كان أحوج النَّاس إلى اللَّيل ليستريح فيه،
وهو المشغول طوال النَّهار بدولةٍ اتَّسعت رقعتها،
وبرعيَّةٍ ازداد عددها، وبحروبٍ وفتوحاتٍ!
ولكنَّه كان يعرفُ أنَّ لا راحة لمؤمنٍ إلَّا بلقاء ربِّه!
أنَكهه التَّعبُ، فاتَّكأ على جدار!
كان يطوف أزقَّة المدينة على قدميه،
لا في موكبٍ ملكيٍّ مهيبٍ، ولا مركبٍ وثيرٍ،
عمر رضي الله عنه يصدُق فيه قول المتنبي:
وإذا كانت النُّفوس كباراً
تعِبتْ في مُرادها الأجسامُ!

الرِّسالة الثَّانية:

يا بُنيَّة، قومي إلى اللَّبن فامذُقِيه بالماء!
سبحان من يُخرج الحَيَّ من الميِّت، والميِّت من الحيِّ!
لك أن تتخيَّل كيف ركِبَت الحيوانات مع نوحٍ عليه السلام في السَّفينة،
وكيف آثر ابنه الغرق متبجِّحاً:
﴿سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ المَاءِ﴾!
ولكَ أن تتخيَّلَ خليل اللّه إبراهيم عليه السلام،
وهو يحاجِجُ أباه في وجود اللّه!
عجيبةٌ هذه الدُّنيا، واللّه عجيبة!
في سياقها الطَّبيعيِّ كان من المفترض،
أن تعلِّمَ الأمُّ ابنتها درساً في الأمانة،
لا أن تكون البنت هي التي تُربِّي أمَّها!
فسبحان من بيده قلوب النَّاس!

الرِّسالة الثَّالثة:

ما كنتُ لأطيعه في الملأ وأعصيه في الخلا!
وفي رواية: إن كانَ عمر لا يرانا فإنَّ ربَّ عمر يرانا!
إيَّاكَ أن تجعلَ اللّه أهونَ النَّاظرين إليكَ!
إيَّاك أن تستحي من النَّاس ولا تستحي من اللّه!
أمام النَّاس نجتهد في إظهار الصَّلاح،
لا أحد منَّا يريدُ أن يسقطَ من أعيُنِ النَّاس،
ولكن العبرة في الخلوات يا صاحبي!
وما بلغ الصالحون ما بلغوا إلَّا لأنَّهم راقبوا اللّه في الخلوات،
سأل جبريل النَّبيَّ ﷺ: ما الإحسان؟
فقال له: أن تعبدَ اللّه كأنَّك تراه،
فإن لم تكن تراه فإنَّه يراك!

الرِّسالة الرَّابعة:

هل فيكم من يحتاج إلى امرأةٍ فأزوِّجَه؟!
إنَّ أغلب مشكلات المجتمع السُّلوكيَّة هي بسببِ تأخيرِ الزَّواج!
صعَّبوا الحلال على الشَّباب، فتعنَّستِ البنات!
والإنسان في شبابه كتلةٌ متفجِّرةٌ من الطَّاقة والمشاعر،
هذه الطَّاقة إذا وجدت سبيلاً في التَصريف في الحلال،
حلَّت السَّكِينة على المرء، وانصرفَ إلى حياته،
ولكن كيف يحيا ويُنجِز ويبتكِر من حُرم من أهمِّ حاجاته!
إنَّ العاقل من النَّاس من يسعى جاهداً لتزويج أولاده،
الابن والابنة على حدٍّ السَّواء وليس الابن فقط،
اتَّقوا اللّه في أولادكم، من يده في الماء ليس كمن يده في النَّار!

الرِّسالة الخامسة:

لو كان بأبِيكم رغبةٌ في النِّساء ما سبقه أحدٌ إليها!
عمر رضي الله عنه لم يعرضها على أولاده فقط،
لم يقُل كيف أزوِّج ابن الخليفة من امرأةٍ من العامَّة،
بل كان على استعداد أن يتزوَّجها هو، وهو الخليفة!
لم يرَ وجهَها وإنَّما رأى إيمانها،
ولم يلتفت إلى حسبِها ونسبها وإنَّما إلى تقواها،
ولم يسأل عن شهاداتها كفاه ما رأى من دينها!
الجمالُ مطلوبٌ لا شكَّ،
والنَّسبُ الرَّفيع مرغوبٌ،
والمستوى العلميُّ المرموقُ يُبحثُ عنه،
ولكنَّ الدِّين أولاً، ثمَّ بقيَّة الصِّفات!

الرِّسالة السَّادسة:

وبهـذا يكـون عمـر بـن الخطّـاب جـدُّ عمـر بـن عبـد العزيـز لأمِّـه!

ذريَّةٌ طيِّبةٌ بعضها من بعض!

روى ابن سعدٍ في الطَّبقات:

أنَّ عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ كان يقول:

من ولدي رجلٌ بوجهه شجَّة يملأ الأرض عدلاً!

فَكانوا يتحدَّثُون أنَّ الدُّنيا لن تنقضي،

حتَّى يلِي الخلافة رجلٌ من آل عمر بن الخطَّاب،

وكان في وجهِ بلال بن عمر بن الخطَّاب شامةٌ،

فحسبوه هو، حتَّى أتى اللّٰه بعمر بن عبد العزيز!

روى ابن عساكر في تاريخ دمشق:

كان بوجه عمر بن عبد العزيز شجَّة،

ضربته دابَّة وهو غلام، فجعل أبوه يمسحُ الدَّم عنه،

ويقول له: إن كنتَ أشجَّ بني أميَّة إنَّك لسعيد!

159
ما تقولُ لرَبِّكَ غداً؟!

في كتاب تاريخ دمشق لابن عساكر، وكتاب مناقب عمر لابن الجوزيَّ،

قال الأحنفُ بن قيسٍ: وفدنا إلى عمر رضي الله عنه بفتحٍ عظيمٍ،

فقال: أين نزلتُم؟

فقلتُ: في مكان كذا وكذا.

فقام معنا حتَّى انتهينا إلى حيث أنخنا رواحلنا،

فجعلَ ينظرُ إليها ويقول: ألا اتَّقيتُم الله في ركابكم هذه؟

أما علمتُم أنَّ لها عليكم حقاً؟!

ألا خلَّيتُم عنها فأكلت من نبت الأرض؟

فقلنا: يا أمير المؤمنين، إنا قدمنا بفتح عظيم،

فأحبَبْنا التَّسرُّع إلى أمير المؤمنينَ، وإلى المسلمين ما يسُرُّهم!

ثمَّ انصرف راجعاً، ونحن معه، فلقِيَه رجلٌ،

فقال: يا أمير المؤمنين، انطلقْ معي فأنصِفني من فلانٍ فإنَّه ظلمني!

فرفع الدُّرَّة وخفق بها رأسه!

وقال: تتركون عمر وهو مُعْرِضٌ لكم،

حتَّى إذا اشتغل بأمور المسلمين أتيتُموه: أنصِفني، أنصِفني!

فانصرفَ الرَّجلُ وهو يتمَّر!

فقال عمر رضي الله عنه: عليَّ بالرَّجل!

فلمَّا جاء، ناوله الدُّرَّة، وقال: اقتصَّ منِّي!

فقال: لا، ولكنِّي أترُكُها للّه ولكَ!

فقال: ليس كذلك! إمَّا أن تدعها للّهِ، أو تقتصَّ!

فقال: أدَعُها للّهِ يا أمير المؤمنين!

ثمَّ جاء بنا عمر رضي الله عنه إلى منزله، فافتتح الصَّلاة، وصلَّى ركعتين، ثمَّ جلسَ، وقال:

يا ابن الخطَّاب كنتَ وضيعاً فرفعك اللّه،

وكنتَ ضالّاً فهداك اللّه، وكنت ذليلاً فأعزَّك اللّه،

ثمَّ حملكَ على رِقاب المسلمين، فجاء رجلٌ يستهديك فضربته،

ما تقولُ لربِّكَ غداً إذا أتيته؟!

فجعل يُعاتِبُ نفسه معاتبَةً، ظننتُ أنَّه من خير أهل الأرض!

الرِّسالة الأولى:

ألا اتَّقيتُم اللّه في ركابكم هذه؟
أما علمتُم أنَّ لها عليكم حقّاً؟
ألا خلَّيتُم عنها فأكلت من نبت الأرض؟!
يا له من دين يفيضُ بالرَّحمة!
لم يشغله حبُّ الفتح أن يراعي حقوق الدَّوابِّ!
كان على حزمه يفيضُ رحمةً!
وإذا ما تعلَّقَ الأمر باللّه اشتدَّ اشتداداً لا هوادة فيه،
وإذا ما تعلَّق بالخلق لانَ ليناً لا شدَّة فيه!
كانوا رحماء، ويُراقبون اللّه في كلِّ صغيرةٍ وكبيرة،
كان لأبي الدَّرداء رضي الله عنه جملٌ يُقال له دمون،
كان لا يحمِلُ عليه ما لا يطيق،
وإذا جاء من يستعيره منه اشترط عليه ألا يحمِل عليه ما لا يطيق،
فلمَّا نام أبو الدرداء على فراش الموت،
نظر إلى دمون وهو في صحف الدَّار،
وقال: يا دمون لا تُخاصمني غداً عند ربِّك،
فإنِّي لم أَكن أحمل عليكَ ما لا تُطيق!
تُرى كيف كانت أخلاقهم مع أبنائهم وزوجاتهم؟!

الرِّسالة الثَّانية:

فرفع الدُّرة وخفقَ بها رأسه،

وقال: تتركون عمر وهو مُعرِضٌ لكم،

حتَّى إذا اشتغل بأمور المسلمين أتيتموه: أنصفني،

أنصفني!

الطَّبعُ غلَّاب!

والإيمان لا يُلغي الطباع وإنَّما يهذِّبها،

مهما بلغ المؤمن من الإيمان سينفلِتُ منه طبعه،

ولكنَّ الإيمان حقّاً سيرُدُّه إلى الحق حين يهدأ،

ومن قبل غضب موسى عليه السلام،

فألقى الألواح التي كُتبت فيها التَّوراة،

وأخذ برأس أخيه يَجرُّه إليه،

ولكن ما ذهب عنه الغضب أخذ الألواح سريعاً،

وهكذا فعل عمر رضي الله عنه!

الرِّسالة الثَّالثة:

ناوله الدُّرَّة، وقال: اقتصَّ منِّي!
لم يجد حرجاً وهو خليفة المسلمين،
أن يعطي الدُّرَّة لرجل من العوام ليضربه قصاصاً؟
لا يترك القضايا معلَّقة إلى يوم القيامة،
ثمَّ يحلُّها هنا، هناك لن يستطيع حلَّها!
من جرحته بكلمة اذهب إليه واستسمحه،
ومن أخذتَ له حقّاً فسارع بإعادته إليه،
اكسِر هذه النَّفس، وإيَّاك والكبر!
لا أحد أكبر من الحقِّ فلا تكُن مكابراً،
رسول الله ﷺ شخصيّاً ناول العود،
لسَواد بن غزية ليقتصَّ منه بعدما قال له:
يا رسول الله: أوجعتني!

الرِّسالة الرَّابعة:

ما تقولُ لربِّكَ غداً إذا أتيتَه؟!
اجعلْ هذه الجملة شعاراً لحياتك!
كلُّ تصرُّف ستقفُ وتُسأل عنه أمام اللّه تعالى،
فأعِد للسُّؤال جواباً!
فإن كان عندك جوابٌ يرضيك أن تقوله فامضِ،
وإن لم يكن لكَ فلا تتمادَ،
الرُّجوع إلى الحقِّ خيرٌ من التَّمادي في الباطل!





160
فاستغْفِرْ لي!

روى الإمام مسلم في صحيحه من حديث أُسير بن جابر، قال:

كان عمر رضي الله عنه إذا أتى عليه أمداد اليمن،
سألهم: أفيكم أُويس بن عامر؟
حتَّى أتى على أويسٍ، فقال له: أنتَ أُويس بن عامر؟
قَال: نعم.
قَال: من مُرَادٍ ثُمَّ من قرَن؟
قَال: نعم.
قال: بكَ برصٌ فبرأت منه إلَّا موضع درهم!
قال: نعم!
قَال: لكَ والدةٌ أنت بها بارٌّ؟
قال: نعم.
فقال عمر رضي الله عنه: سمعتُ رسول اللّه صلى الله عليه وسلم يقول:
يأتي عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن، من مُرادٍ ثم من قرَن،
كان به برصٌ فبرئ منه إلَّا موضع درهم!
له والدةٌ هو بها بارٌّ،
لو أقسم على اللّهِ لأبرَّه،

فإذا استطعت أن يستغفر لكَ فافعل!

فاستغفر لي!

فاستغفرَ له أويس!

ثم قال له عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أين تريد؟

قال: الكوفة.

قال له: ألا أَكتبُ لك إلى عاملها؟

فقال أويس: أكون في غبراء النَّاس أحبُّ إليَّ!

فلمَّا كان العام المقبل حجَّ رجلٌ من أشرافهم،

فوافقَ عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فسأله عن أويس بن عامر.

فقال: تركتُه رثَّ البيت، قليل المتاع.

فقال له عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سمعتُ رسول اللّه ﷺ يقول:

يأتي عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن، من مرادٍ ثمَّ من قرَن،

كان به برصٌ فبرئ منه إلَّا موضع درهم!

له والدةٌ هو بها بارٌّ،

لو أقسم على اللّهِ لأبرَّه،

فإذا استطعت أن يستغفر لكَ فافعل!

فأتى الرَّجلُ أُوَيساً،

فقال له: استغفِر لي.

فقال أويس: أنتَ أحدث عهداً مني بسفرٍ صالحٍ فاستغفِر لي!

فقال له الرَّجل: استغفر لي!

فأعاد على أويس: أنت أحدث بسفر صالحٍ فاستغفر لي!
ثمَّ قَال له: لقيتَ عُمَر رضي الله عنه؟
قال: نعم.
فاستغفرَ له أويس، ففطن له النَّاس، فانطلق على وجهه!
قال أُسير: فكسوته بردة،
فكان كلَّما رآه إنسانٌ قال: من أين لأُويسٍ هذه البُرْدة!

الرِّسالة الأولى:

لكَ والدةٌ أنت بها بارٌّ؟!

يا صاحبي: يبلغُ النّاسُ بالبرِّ رُتبَةً لا تُبلغ بغيرها!

وبرُّ الوالدة خصوصاً فيه من الخير ما لا يعلمه إلَّا اللّه،

قرأتُ مرَّةً أنَّ فرعون كان شديدَ البرِّ بأمِّه،

وما زال اللّه يُملي له ويمهله ببرِّه لها،

كان يقول: أنا ربُّكم الأعلى!

ومع هذا أمهله اللّه ببرِّه لأمِّه،

فلمَّا ماتت أخذه أخذَ عزيزٍ مقتدر!

وفي الأدب المفرد للإمامِ البخاريِّ من حديث عطاء بن يسار قال:

أتى عبد اللّه بن عبَّاس رجلٌ فقال:

إني خطبتُ امرأة فأبت أن تنكحني، وخطبها غيري، فأحبَّتْ أن تنكحه!

فغرتُ عليها، فقتلتُها، فهل لي من توبة؟ فقال له عبد اللّه بن عبَّاس رضي الله عنه: أمُّك حيَّة؟

قال: لا.

فقال له: تُب إلى اللّه واستغفره!

يقول عطاء: فسألتُ ابن عباسٍ: لِمَ سألته عن أُمِّه؟

فقال: لا أعلمُ عملاً أقرب إلى اللّه عزَّ وجلَّ من برِّ الوالدة!

الرِّسالة الثَّانية:

لو أقسم على اللّهِ لأبرَّه!

يا صاحبي: إنَّ للّه عباداً إذا أرادوا أراد!

لا شيءَ مكرِهٌ له سبحانه،

ولكن من كرامتهم عنده جعل إرادتهم من مشيئته!

وإنَّها واللّه ليست بالمظهر ولكن بالجوهر، وليست بالأجساد، ولكن بالقلوب!

وقد ترى أحدهم فلا تحسبه شيئاً،

وهو من أعزِّ الخلق على اللّه!

قال رسول اللّه ﷺ: رُبَّ أشْعثَ أغبر،

ذي طِمرَيْن لا يُؤبه له،

لو أقسم على اللّه لأبرَّه منهم البراء بن مالك!

فلمَّا كان يوم معركة تُستُر، وانكشف المسلمون،

قالوا له: يا براء، أقسِم على ربِّك!

فقال: أقسمتُ عليكَ يا ربُّ لما منحتنا أكتافهم، وألحقتني بنبيِّك!

ففتح اللّه تعالى على المسلمين، واستشهد البراء رضي الله عنه!

الرِّسالة الثَّالثة:

فاستغفِرْ لي!
محبَّةُ الصَّالحين قربى إلى اللّٰه تعالى،
وطلبُ الدُّعاء منهم سُنَّةٌ نبويَّةٌ شريفة،
على أن يُعلم أنَّ اللّٰه تعالى لا مُكره له!
وأنَّ دعاء الصَّالحين إنَّما يكون في حال حياتهم،
وأمَّا قصدهم في قضاء الحوائج في قبورهم فهو شرك!
وحتَّى في حال حياتهم يجب الاعتقاد اعتقاداً جازماً،
أن الأمر كلُّه بيد اللّٰه سبحانه،
ما شاء قضاه برحمته،
وما لم يشأ أن يقضيَه لم يقضه بعدله،
وإنَّما نستشفعُ عند اللّٰه بمن غلب على ظاهره الصَّلاح!
وباب اللّٰه مفتوح للعبد له أن يطرقه كلَّ وقتٍ وحين،
وهو القائل: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾!
وقدِ استجاب اللّٰه تعالى دعاء إبليس اللَّعين،
فمهما بلغت معاصيك بابُ اللّٰه مفتوح!

الرِّسالة الرَّابعة:

ألا أكتب لكَ إلى عاملها؟
أكون في غبراء النَّاس أحبُّ إليَّ!
وهكذا الصَّالحون حقّاً لا يرجونَ أجراً إلَّا من اللّه،
ويحبُّون أن يبقى دينهم بعيداً عن دنياهم، يخشون أن يكون هذا من الأكل بدينهم!
دخل عبد اللّه بن مُحَيرِيز دكَّاناً، وأمسك ثوباً بيده،
فقال رجلٌ للبائع: أرخِص له!
هذا ابن مُحَيرِيز عالمنا وفقيهنا!
فغضب ابن مُحَيرِيز،
وألقى الثَّوب من يده،
وقال: إنَّما نشتري بأموالنا لا بديننا!

الرِّسالة الخامسة:

من أين لأويس هذه البُرْدة؟!
هكذا هم النَّاسُ في كلِّ عصر،
يستكثرون على المسكين لقمةً وثوباً!
وكأنَّ الذي أكله من طعامهم،
أو الذي لبسه من خزانة ثيابهم!
إنَّ اللّه تَكفَّل بالرزق لعباده،
وهو يُعطي لحكمة، ويمنع لحكمة،
وانشغال المرء بنفسه خيرٌ له من انشغاله بالنَّاس!





